الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدكتور مولاي الطاهر –سعيدة–

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الاجتماعية

شعبة: فلسفة

تخصص: فلسفة عامة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

الموسومة بـ:

# أخلاق الفعل عند بول ريكور


إعداد الطالبة:

– قولال فتيحة

إشراف الأستاذ:

– بن يمينة محمد كريم


السنة الجامعية: 2015–2016م

1436– 1437هـ

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدكتور مولاي الطاهر –سعيدة–

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الاجتماعية

شعبة : فلسفة

تخصص : فلسفة عامة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

الموسومة بـ:

# أخلاق الفعل عند بول ريكور

إعداد الطالبة:

– قولال فتيحة

إشراف الأستاذ:

– بن يمينة محمد كريم

السنة الجامعية: 2015–2016م

1436– 1437هـ

# إهداء

إلى من قال تبارك و تعالى فيهما: **(وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً)**

إلى القلب الدافئ و الصدر الرحب.....من

كانت سعادتي و مثال في التضحية و الوفاء والدتي الكريمة

إلى من غمرني بعطفه، و كان نوراً يضيء طريقي، والدي حفظه الله، و بارك الله في عمره

# فتيحة

# كلمة شكر

لا يسعني إلاّ أن أقف وقفة تشكّر و امتنان لجميع الأساتذة الكرام، و أخصّ بالذكر من أحيا روح العمل والجدّ فكان خير مرشد و نِعم الموجه الأستاذ "بن يمينة محمد كريم"

كما أتقدّم بالشكر إلى كلّ من ساعدني من قريب أو بعيد، و خاصةً أساتذة قسم الفلسفة

# مقدمة

انشغلت الفلسفة بمسائل البحث في الوجود الإنساني والقيم منذ اللحظة التي تحددت فيها صورة الفلسفة الأكاديمية، من خلال معالجة إشكاليات و تساؤلات حول الإنسان بحد ذاته أعماله و أفعاله ذلك أن الإنسان يقوم بأفعال وفقا لمبدأ تفكيره من هنا كان التفكير في مفهوم الفعل بحسبانه ، موضوعًا قائمًا بذاته ينفتح على كلّ ما هو **إيتيقي** أو أخلاقي.

اكتفت الفلسفة بالتأمل، ووعي السلوك الإنساني وما يتعلق بنشاط الفعل الإنساني باعتباره حركة أو نشاط ، بيد أنّه قابل للتفسير على أنحاء شتى، فينومولوجيًا، تأويليًا، لغويًا، وظيفيًا، كما أثقلت تفسيراته من حيث المعنى إذ يمكن فهمه في إطار الاتصال الذاتي.

فقد أغرق تفكير فلاسفة الغرب وغيرهم من المفكرين العرب فلسفة الفعل كهيئة للفكر، اهتمت بكيان الإنسان و وجوده كما لم يكن مفهوم الفعل غريبًا عن فلاسفة اليونان **كسقراط**، و**أفلاطون** و غيرهم من المدارس الفلسفية كالفيثاغورية، و الرواقية، و المشائية، و امتاز وضعه مع **الفارابي** و **الكندي** و **ابن باجة**، كما انفتح مفهوم الفعل على فلسفة المفكر الغربي **فريدريك نتشه**، فتزايد الانشغال به مع **بول ريكور** الذي أعده مبادرة ومقاومة له سببية، و ذات فاعلية، فحاول الربط بين الفعل و الذات الفاعلة، و التفريق بين السبب و الحدث.

ذلك أنّ فلسفة الفعل كانت تفسيرًا سببًا، حاول الكثير من الفلاسفة أن يُفسّروا به الأفعال والأحداث، كما تؤول علاقة الفعل والفاعل والذات إلى الفهم والتفسير، والهيرمونيطيقا التي إنبنت عليها فلسفة **ريكور**، فشكّلت نظرية الفعل عنده قطيعة مع اللغة و الإبستملوجيا.

تكشف لنا فلسفة الفعل كونها مبحث تأويلي و تفكيكي من خلال الكشف عن الفعل إلى إدراك المعنى وتحقيقًا للحرية، لذا يشمل الفعل كلّ ما يصدر عن الذات ممّا يعني أنّه يكشف عن انتماء الشخص إلى شرط الإنسانية.

ما يدل على أن **ريكور** لم يقتصر في بحثه عن الجانب العمل، بل اشتهر بالدلالة والوصف انطلاقا من التأويل وصولا إلى الذاتية، فنجد تساؤلاته حول الأفعال الإنسانية في حقل التطبيق بل يدور في عقلانية مفتوحة تقترب من الواقع، و عليه نطرح التساؤلات التالية:

- كيف يمكن فهم الفعل عند بول ريكور؟
- و ما الغاية من الفعل ما دام حقلاً من الأفكار الحياتية المرتبطة بالنتائج الملموسة على الصعيد اليومي للإنسان؟
- و ما مدى ارتباط الفعل بالقيمة الإيتيقية و كيف نجسد الفعل الأخلاقي الإنساني في الواقع؟

ناقشت هذه الإشكالية المتعلقة بموقف **ريكور** من فلسفة الفعل دراسات عديدة و قراءات لفهم معنى الفعل في الإطار الأخلاقي، لذا حاولت من خلال هذا البحث تسليط الضوء على جملة من الآراء حول اهتمامات الفلاسفة بموضوع الفعل، لأنّنا نجد إثارة للبحث في أخلاقيات الإنسان المعاصر وقلب المعايير والقيم المترسخة في الفلسفات و التراث الإنساني.

إعتمدت **منهج التحليل** وفقًا لخطة بحث تتضمن ثلاثة فصول، تفصل أهم عناوين البحث، تندرج تحتها مباحث جزئية، ناقشت بعض الإشكاليات المرتبطة بهذه العناوين.

**الفصل الأول**: عبارة عن **مدخل مفاهيمي** يتجزأ إلى أربعة مباحث، **المبحث الأول**: يُؤسّس و يؤصل ماهية الفعل، أما **المبحث الثاني**: يعرض جملة من النظريات والمناهج التي توضح مفهوم الأخلاق أو علم الأخلاق، وكذا **المبحث الثالث**: يتواصل البحث فيه إلى الأخلاقيات أو **المنعطف الأخلاقي**، بالإضافة إلى المبحث الرابع تطرق فيه إلى مفهوم جديد في فلسفة الفعل و هو **البراكسيس** الذي يدلّ على تجربة الإنسان و الوعي في الحياة.

**الفصل الثاني**: تناولت في البحث مسارات و إشكالات فلسفة الفعل نظرًا لتداولها عند فلاسفة الغرب والمفكرين العرب، أخذت في **المبحث الأول**: نموذجين في الفلسفة الغربية (نموذج **فريدريك نتشه** الذي اقترن تقويم الفعل البشري عنده من خلال كثرة الإرادات في عصر الحداثة و اعتمد مبدأه أوليًا على إرادة القوة، أما الثاني نموذج **إمانويل كانط** فماهية الفعل عنده تكمن في معنى التجسيد والاستطاعة في كلّ ما يقوم به الإنسان من حركات توجبها قوة متعالية، أو انعكاس للتصورات القبلية).

كما تجسدت سؤالات الفعل في الفكر العربي و تطرقت لهذا **المبحث الثاني**: عند **طه عبد الرحمان** و **عبد العزيز العيادي**، فكان التحليل لفلسفة طه عبد الرحمان عن الفعل من حيث البناء المفهومي، أمّا عبد العزيز العيادي فركّز انتباهه على المفارقة بين النظر والعمل، التي شكّلت علاقة بالممارسة والفعل و الفكر.

أمّا **المبحث الثالث**: احتوى انتقال فلسفة الفعل من الذات إلى التغيير، حيث الفلسفة معرفة تنطلق من فهم الذات و الذات لا وجود لها دون الآخر، ينتقل في المبحث الرابع إلى أخلاق الفعل بين الإرادة و الاغتراب والمقاومة، إذ تبيّن من خلال هذا المبحث أنّ هناك تفسير للأفعال و تقويم لها حسب طبيعتها.

**الفصل الثالث**: تطرقت فيه إلى دراسة **بول ريكور** و **إيتيقا الفعل**، حيث تضمّن **المبحث الأول**: السيرة الذاتية للفيلسوف و مشروعه الفكري الفلسفي، أمّا **المبحث الثاني** بين تأويلية النص و هيرمونيطيقا الفعل، من خلال عرض بول ريكو لنظرية الفعل ونظرية النص وطرح فكرة التقارب بين الأفعال والنصوص، وأهم عنصر كان في **المبحث الثالث**: القراءة في أخلاق الفعل التطبيقية عند بول ريكور من خلال عرض قوانين و إشكاليات تهدف إلى الممارسات، و كيف تطبّق فلسفة الفعل في نحوها الأخلاقي، بالإضافة إلى **المبحث الرابع** : تجليات نظريات الفعل ما بعد ريكور و كيف كان تأثير فلسفته و عرض رؤى و أفكار لكلّ من **هابرماس** و **غادامير** في التأويلية، واللغة كانت إضافة إلى ما طرحه ريكور، والتعرض لمبادئ الفعل الملزم بها كالمسؤولية، والاستقلالية والحرية والإرادة.

وصولاً إلى **الخاتمة** التي من خلالها قمت بعرض حوصلة عن مشروع ريكور و طموحاته التي أثّرت في مختلف الفلسفات و مفهومه, و قد كانت الدوافع إنجاز هذا البحث هي محاولة إلقاء الضوء على فكر أخلاقي معاصر عايش فلسفة عينية جديدة تمثلت في فلسفة الفعل، و تعيين أهمّ النقاط التي تدرس مجال الإنسان كالفعل والوجود، إضافة إلى قلة البحث في هذا الموضوع خاصة التوجه إلى مواضيع **ريكور** المتباينة مثل **الهيرمونيطيقا والفينومولوجيا، و أزمة الشرّ**.

**أمّا الصعوبات التي واجتني أثناء معالجة إشكالية هذا البحث:**

- قلّة مصادر بول ريكور في المكتبة المركزية خاصةً المراجع الأجنبية.
- ندرة الدراسات حول موضوع الفعل ممّا دفعني إلى الإعتماد على محاولة فهم مصادر ريكور بلغته الأصلية، لولا توفر الدراسات في مجال فلسفة الأخلاق بصفة عامة، و حول الوجود الإنساني و القيم الإنسانية و السلوكات.

رغم هذا حاولت قدر الإمكان تحليل إشكالية أخلاق الفعل المتعلّقة خصوصًا بالفهم الأخلاقي، و القيمي للإنسان المعاصر لتحقيق هدف البحث الذي يتضمّن تحليل مواقف فلاسفة آخرون تعرّضوا لموضوع الفعل، لكن دون تعمّق.

# الفصل الأول:

ا

# مدخل مفاهيمي

المبحث الأول: ماهية الفعل (التأسيس و التأصيل)

المبحث الثاني: مفهوم الأخلاق (المناهج والنظريات)

المبحث الثالث: من الأخلاق إلى الأخلاقيات

المبحث الرابع: فلسفة البراكسيس (تجربة الإنسان والوعي بالحياة)

اهتمّ الفكر الفلسفي بسؤال الأخلاق في إطار تحديد القيم العليا الموجهة للفعل البشري، باعتبار الأخلاق ليست مجرّد تصوّرات نظرية بل هي أفعال مجسدة.

و بما أنّ الفعل الأخلاقي سلوك واقعي، فالفعل ذا قيمة إنسانية إذ ينصبّ اهتمام الأخلاق عليه بالبحث عن مثال أو معيار معيّن للسلوك و الأفعال التي نمارسها.

لذلك **فالفعل الأخلاقي** في مظهر من مظاهرها ما يمكن في وجود الإنسان، فلو قام الإنسان بمشاريع خيرية نتيجة ضغوط خارجية، لا يعدّ هذا عملاً أخلاقيًا لأنّه لم ينبع من صميم ذاته أو من حسّ باطني.

تكون الأخلاق نحو سلوك حاك عمّا يعيش في ضميره و كيانه و إنّما نؤكّد كون الفعل إلزامي أو غير إلزامي، مستحسن أو غير مستحسن، من الوجهة الخلقية، طبيعة الفعل (صفاته المجردة، و سماته الأخلاقية). الفعل الإنساني في حقيقة الأمر يُصاغ دائمًا في علامات و قواعد و معايير، حيث تسبق الأخلاق أيّة ممارسة أخلاقية قائمة على نظام تأمّلي، يُمكن تقييم الأفعال من حيث هي وظيفة للمعايير أي الحكم عليها إلى مقياس الأفضليات الأخلاقية.

كما أنّ المنطلق الأساسي في التأسيس للقيم الأخلاقية الإنسانية هي المعرفة الفعلية بالإنسان، حيث أنّه كائن عاقل مفكّر و حر، له إرادة و قدرة على الفعل الذي هو بمثابة مقدّمة لازمة لكلّ حديث عن الأخلاق وما شابهها من ألوان النشاط الإنساني في عالم السلوك لذلك علينا دراسته و تعريفه و بيان عناصره و الإطار المباشر لنظرية الفعل هو نظرية الإنسان.

**المبحث الأول: ماهية الفعل (التأسيس و التأصيل)**

**1/– الفعل لغةً:**

**الفعل** في اللغة العربية: «كناية عن كلّ عمل متعدل و غير متعد»[1]، التعدية هي جعل ما كان فاعل للازم مفعولاً، مثل: أخرجت زيد، جعلت زيدًا يخرج.

يُعرّف **الفعل** أحيانًا بأنّه «قيام الشخص بشيء ما قصدًا»[2]، الحركات أفعال، و قد يكون القيام بهذه الأفعال قصدًا، إذ يعتبر الفعل حركة جسمية مقصودة، لذا لابدّ له من فاعل يقصد القيام به، و القصد هو إنشاء تصوّر حول سلوك ما.

فعل "**Act**"، الفعل هو الصورة في مقابل المادة.

عند أبي هلال العسكري:

أ– عبارة عن ما وجد في حال كان قبلها مقدورًا سواءً كان سببًا أو لا.

ب– الفعل في كلّ لغة هو اللّفظ الذي يُصوّر النشاط و الحركة و يُلازمه التأثير، أي إيجاد الأثر، بمعنى يجب أن يكون علّةً.

ت– هو الهيئة العارضة للمؤثر في غير بسبب التأثير أولا كالهيئة الحاصلة للقاطع بسبب كونه قاطعًا[3].

بمعنى أنّ الفعل نوعٌ خاص من الحركة الجسمية، يفسر سببها بطريقة سلوكية فأثناء قيام الفاعل بفعله فهو في اتصال مع بيئته و حركته لها أسباب و تأثير.

[1]- ابن منظور الإفريقي، **لسان العرب**، مج4، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2008، ص 4074.
[2]- تد هوندرش، **دليل إكسفورد للفلسفة**، ج2، (من ط إلى ي)، تر: نجيب العصادي، تح: منصور محمد البابور، محمد حسن أبو بكر، ص 660.
[3]- مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، دار قباء الحديثة للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط5، 2007.

## 2/- في الاصطلاح الفلسفي:

أ/- **الفعل** في اصطلاح النحاة ما دلّ على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة (تعريفات **الجرجاني**) يشتمل على ثلاثة معانٍ: أولّها الحدوث، و ثانيها، الزمان، و ثالثها النسبة إلى الفاعل. بالمعنى العام يطلق على كون الشيء في غيره، و مثاله أفعال الطبيعة[1]، يكون الفعل مصحوبًا بحركة محسوسة، و يُمكن أن يكون وقفًا عن الحركة، فلا فعل يغيّر حركات جسمية يصدرها الفاعل.

ب/- **جوهريًا:** يدلّ الفعل على ما يكون، ما يتخفى وراء الواقع بكلّ درجاته و صوره و أشكاله، فهو المبدأ الفعلي و الصوري لما تتصوره قائمًا كائنًا و قابلاً للمعرفة، حتّى إن الحدث لا يدركه بمقتضى عمل يفترض أن يعبر به عن وحدة وجودية على المستوى العالم أم على مستوى المعلوم[2].

يتعلّق **الفعل** بغرض، لأنّ الفعل ليس مجرّد حركات بل هو تنظيم السلوك، فأثناء قيام الفاعل بفعله هو في اتصال مع بيئته، و بهذه الصلة يكون الفعل وسيلة للفاعل في ذاته، و أداة للتكيّف بين فاعله و وسطه.

### 2-1/ الفعل عند أرسطو:

**أ/- الفعل ممارسة الفاعلية بالذات:** مقابل قوة الفعالية يُميّز أرسطو بين الفعّالية التي تنزع نحو هدف خارجي (البناء مثلاً)، و الفعّالية كغاية نفسها البصر أو الفكر مثلاً[3]، تناسب هذه الصورة هدفًا، كما أنّ الكلمة تذكر دائمًا بالفكرة القائلة أنّ الفعل المقصود و إن كان لا إراديًا في كطلبه إنّما يتسم بمظهر مماثل، أو مشابه على الأقل بمظهر أفعال الإرادة.

---

[1]- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية، الفرنسية، الإنجليزية و اللاتينية**، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ط)، 1982، ص 152.
[2]- أندريه لالاند، **موسوعة لالاند الفلسفية**، المجلد الأول (A-G)، منشورات احمد عويدات، ط2، 2001، ص 19.
[3]- المرجع نفسه، ص 21.

**ب/– عمل فعل بالفعل:** تنطبق عبارة فعل أولاً على اللحظة التي تدلّ عليها عبارة بالقوة من جهة و من جهة ثانية الوجود الناجم عن التغيّر[1].

يُفرّق **أرسطو** بين الفاعلية الثانية، و الأولى بوصفها فعل الحركة الحق كما يذهب إلى أنّ الأفعال منها ما هو نظري، و منها ما هو عملي، و الفعل عنده دلالة اسمية، فمن جهة يعني الزمان أي أنّه يضع في الوجود الحاضر الدلالة الاسمية، بمعنى روح الفعل هو الإثبات لأنّنا نستطيع تأكيد شيء ما، و نفي شيء آخر.

يعني أرسطو بالفعل أيضًا أنّه كمال أول، أي حصول القوة النفس التي لا تؤدّي وظائفها بشكل استمراري بل نلاحظ أنّها تتوقف في حالات معينة كالنوم مثلاً[2].

**2–2/ الفعل عند الكندي و توما الإكويني و الغزالي:**

أ/– يرى **الكندي** أنّ الفعل ضربان:

- **الحقي الأول:** تأييس الأيسات عن ليس (هو غاية كلّ علّة خاصة لله تعالى).
- **الحقي الثاني:** أثر المؤثر في المؤثر فيه.

ب/– يرى **توما الإكويني** أنّ الفعل فعلان: أحدهما يستقر في الفاعل كالإبصار و التعقل، و الثاني ما يتعدّى إلى الخارج[3].

ج/– و على ذكر تعدّد الأفعال **فالغزالي** يرى أنّ هناك قسمان: فعل إرادي و فعل طبيعي[4].

---

[1]- أندريه لالاند، **موسوعة لالاند الفلسفية**، مرجع سابق، ص 21.
[2]- محمد الجير، **الفكر الفلسفي و الأخلاقي عند اليونان**، دار دمشق، دمشق، ط1، 1994، ص 69.
[3]- مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، مرجع سابق، ص 462.
[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

إذ يلزم بالفعل الإرادي العلم و هو خاص بالحيوان و الإنسان أمّا الطبيعي فلا لأنّ الفعل الحقيقي يكون بالإرادة، أمّا أفعال الأقوال لا تستطيع أن تكون مقيّدة، دون أن تمنح أو تخص لهذه الإنعكاسية قيمة مرجعية من نوع خاص، فأفعال الخطاب:

- لا تحوي أيّ حداثة جذرية.
- تساهم في معرفة عامل الغموض، و علامات الخطاب، و تدقيق نوع الموضوع[1].

و بمعنى عام فالفعل سلوك قصدي يتكوّن من حركات منسقة تنتج أحداثًا موضوعية، لكن الفعل الإنساني ظاهرة شديدة التعقيد و كلّ فعل هو كيان قائم بذاته، عائد على الذات و يجد غايته في ذاته، و هذا ما يدعى **بالبراكسيس**.

**3/– أقسام الفعل:**

إنّ مصطلح الفعل مأخوذ بالمعنى الضيّق لما يقوم به الأشخاص، يستمد معناه المتميز من قدرته على انّه يستعمل مقرونًا بالمصطلحات الأخرى، و الأفعال تنطوي على أهداف كما تشير إلى دوافع، له شبكة مفهومية واسعة، كما ينقسم إلى أقسام عديدة:

**3–1/ الأفعال التي تتداخل في الفعل الإجمالي للقول:**

هناك فرق بين فعل القول "acte locutoire" و الفعل الداخل في القول "illocutoire"، و الفعل الحاصل بالقول "perlocutoire".

[1] - Paul Ricoueur, soi même cime un autre, 1982, Paris, P :57.

فعل القول هو العملية الحملية نفسها، القول بشيء معيّن حول شيء آخر، أمّا الفعل الداخلي في القول فهو كما يدلّ عليه اسمه يقوم على ما يفعله القائل حين يتكلّم[1].

**3-2/ الأفعال التعبيرية و الأفعال التمريرية:**

**الفعل التعبيري** هو التعليل اللّغوي المعروف للفعل الكلامي، يعبر بصيغة ضمير المتكلّم، يتبع قواعد دلالية تعرضها بنية الجملة، فالأقوال الأداتية ليست سوى حالات خاصة من سمة عامة تعرضها أيّة فئة من الأفعال الكلامية، و الأفعال التعبيرية فضلاً عن قولها شيئًا ما. **أمّا الفعل التمريري** هو فعل شيء ما، و الفعل التمريري هو ما يميز الوعد عن الأمر أو الرغبة أو الإثبات.

**3-3/ الفعل التحاوري (التقريري):**

هو خطاب من شخص ما إلى آخر متكلّم و هو متلقي الخطاب، و حضور المتكلّم و المستمع هو ما يشكّل اللّغة بما هي اتصال.

يقول **أفلاطون:** «يُشكّل الحوار بنية جوهرية في الخطاب، و يحتفظ السؤال و الجواب بحركة الكلام وفاعليته، و بمعنى ما هما يشكّلان نوعًا من الخطاب من بين أنواع أخرى»[2]. و كلّ فعل تمريري هو ضرب من السؤال و إثبات شيء ما يعني توقع اتّفاق.

[1]- بول ريكو، **الذات عينها كآخر**، تر: جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، نوفمبر 2005، ص 136.
[2]- بول ريكور، **نظرية التأويل: الخطاب و فائض المعنى**، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006، ص 42.

**4/- نظرية الفعل:**

تعدّ نظرية خصوصية **أنجلوسكسونية**، و الجدال حول الفعل يقودنا إلى أبحاث عديدة أدّت إلى الجدال حول نقطة دقيقة حينما يتعلّق الأمر بمكان الفاعل في الفعل، إذ يُمكن القول أنّ العلاقة بين الفاعل و أفعاله تعود إلى نموذج سببي أقرب من السبب **الأرسطوطاليسي**، حيث صنّف أرسطو تحت فكرته العنف بمفهومها الواسع حالات توجد في نفس السياق أشكال حوافز قريبة من الأسباب الخارجية، و إذا عدنا إلى أبعد تأثيرات الفعل نصطدم دائمًا بأفعال تعرف القيام بها، لأنّه بمقدرونا فعلها.

و إذا كان الفعل يعني جوهريًا إحداث شيء ما أو لفعل هذا أفعل شيء آخر، هذا النوع من الأفعال يوازي ما يسمى بالفعل الأساس «الفعل الذي ليس ثمّة أكثر أساسية أو أكثر أولوية منه، أي الفعل الذي لا يتمّ عبر القيام بفعل آخر»[1]، يعيّن أيّ فعل ما، لا بحسب محتواه الافتراضي، بل بقوته الإيحائية، فواقعية الفعل تطور جدلاً شبيهًا بين وضعه الزمني باعتبارها واقعة تظهر و تختفي و وضعه المنطقي باعتبارها تمتلك الدلالة القابلة للتحديد بعد استنتاجات و تحليل **بول ريكور** يرى أنّ الفعل يعني دائمًا القيام بشيء معيّن في سبيل أن يحدث شيء ما آخر في العالم، و لا وجود من جهة ثانية لفعل دون علاقة بين المهارة (القدرة على الفعل) و ما يحدثه هذا الأخير[2].

تتطلّب العدالة أن يقوم البشر بكلّ خياراتهم، و أفعالهم وفق مشيئة الله، و الإخفاء بإبقاء الدين إهانة لوقار الله، و هو يجعل المذنب لا يحصى من العوالم، يرعى و يهب كلّ مخلوق منزلته، لذا يرى أنسلم (1033-1109م) في مفهومه لنظرية الفعل أنّ الحرية و قابلية التخير جوانب أساسية و دائمًا في الكائنات البشرية، والحرية عنده هي القدرة على الحفاظ على العدالة من أجل ذاتها و وحده الفعل العفوي الكامن من مصدره في الفاعل

[1]- تد هوندرش، **دليل إكسفورد للفلسفة**، ج2، مرجع سابق، ص 66.
[2]- بول ريكور، **من النص إلى الفعل**، تر: محمد برادة، حسان بورقية، عين الدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، (د.ط)، ط1، 2001م، ص 129.

قابل لأن ينسب إليه، و لأنّ المخلوقات لا تختار على طبائعها من نفسها بل من الله[1]، تستكمل محاجة أنسلم في ضرورة التجسيد الإلهي ديالكتيك العدالة و الرحمة، و ملخص القول أنّ برهانية أنسلم تمركزت على وجود الله بوصف الطبائع المخلوقة سبيلاً أساسيًا لكدحها شطر الله.

كما يرى **بول ريكور** من ناحية أخرى أنّ الفعل مرجع جيد بالنسبة لصنف كامل من النصوص، الفعل البشري عنده شبيه بالنص من مناحي عدّة، فهو يجسد بطريقة قابلة للمقارنة مع التثبيت الخاص بالكتابة[2]، الفعل الإنساني يعني أيضًا أنّ الإنسان كائن مزدوج التركيب، فهو جسم و عقل، فلما كان التفكير سابق على الفعل ويبدو فيه، ففي الفعل يبدو التحقق المادي «كان الإنسان معتقدات و أفكار تتجلّى في أفعال، و من شأن هذه الأفعال أنّها الصانع الحقيقي للتغيير في الواقع المعاش، و تطويره أو تحديثه»[3].

[1]- تد هوندرش، **دليل إكسفورد للفلسفة**، ج1، (من أ إلى ط)، تر: نجيب العصادي، تح: منصور محمد البابور، محمد حسن أبو بكر، (د.ط.ت)، ص 116.
[2]- بول ريكور، **من النص إلى الفعل**، مصدر سابق، ص 129.
[3]- مصطفى النشار، **العلاج بالفلسفة: بحوث و مقالات في الفلسفة التطبيقية و فلسفة العقل**، الدار المصرية السعودية، القاهرة، مصر، ط1، 2010، ص 48.

**المبحث الثاني: مفهوم الأخلاق (المناهج والنظريات)**

**1/– تعريف الأخلاق لغويًا و اصطلاحيًا:**

**أ/– لغةً:**

جمع خلق: و هو العادة و السجية و الطبع و المروءة[1].

وكلمة **أخلاق** مستخلصة من الجدار اليوناني "Ethos" والتي تعني خلق، وتكون الأخلاق أهمها من المعتقدات أو المثاليات الموجهة و التي تتخلل الفرد أو مجموعة من الناس في المجتمع.

و باللّغة الأجنبية فيختلف لفظ "Ethic" عن لفظ "Déotologie"، حيث تمّ اشتقاق هذا الأخير من الجدار اليوناني "Deontos" و الذي يعني ما يجب فعله.

و "Logos" التي تعني العلم، و تعني اللّفظتين معًا العلم الذي يدرس الواجبات كما تعرف la Déotologie" بأنّها مرادف للأخلاق المهنية لمهنة معيّنة[2].

**ب/– اصطلاحًا:**

**الأخلاق** جملة من القواعد السلوكية المقرّرة في المجتمع و التي يجب على كلّ فرد الالتزام بها و هي التصرّفات من حيث كانت قبيحة أو حسنة[3].

[1]- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية، الفرنسية، الإنجليزية و اللاتينية**، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ط)، 1982، ص 49.
[2]- مصطفى حسيبة، **المعجم الفلسفي**، دار أسامة للنشر و التوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2009، ص 41.
[3]- محمد يعقوبي، **المعجم الفلسفي**، دار الميزان، الجزائر، ط2، 1998، ص 49.

**2/– تعريف الأخلاق فلسفيًا:**

علم يبحث في الأحكام الخاصة بالخير والشر، والفضيلة وهو على منحيين: إمّا يتجه إلى تحليل سيكولوجي أو سوسيولوجي لأحكامنا الخلقية، والاهتمام هنا ينصبّ على الفعل، ويقوم على البحث عن معيار أو مثال معيّن للسلوك أو غاية، أو الخير الأعظم.

فسؤال **الأخلاق** حاليًا ليس سؤال سيسيولوجي لكن يتوقف طرحه في مسار التاريخ الإنساني، فهو يرافق كلّ مسار التفكير الفلسفي، و منذ الأصل الأخلاق عالجت العادات و لمواقف الإنسانية خصوصا تبرير سلوكات الإنسان فرديًا و جماعيًا[1]، فهذا النحو ساد عند الأخلاقيين فبادروا للبحث عن معنى القضايا الخلقية، و صدقها وكذبها، و موضوعيتها و ذاتيتها، و وصفها في نسق يستند إلى مبادئ أولوية.

«فغاية **الأخلاق** من حيث هي فرع من فروع الفلسفة تقوم في النظرية دون الممارسة، و في المعرفة دون الفعل على الرغم من زعم الأخلاق بأنّ النظرية هي من أجل الممارسة، وأنّ المعرفة هي أسلوب الحماية»[2]، بيد أنّ بعض الأخلاقيين الذين يأخذون بالنحو الثاني ينكر كون الأخلاق علمًا معرفيًا، كما ينكر أنّ قضاياها قد تكون صادقة أو كاذبة مثل فريدريك نتشه.

وتتمثل المسائل الأساسية للفلسفة في البحث عن ماهية الخير والشر، وعن الأساس النظري للواجبات، والعلاقة بين الخلقية و السعادة[3].

[1] - Georges Balandier, introduction, la demande d'éthique, 1990, P :06.
[2]- مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، مرجع سابق، ص 33.
[3]- محمود حمدي زقزرق، **مقدمة في علم الأخلاق**، دار القلم، الكويت، ط3، 1403هـ/1983م، ص 13.

**الأخلاق** شكل من أشكال الوعي الإنساني يقوم على ضبط أو تنظيم سلوك الإنسان في كافة مجالات الحياة الاجتماعية بدون استثناء، إذ وضع الدين أساسًا لتنظيم حياة الإنسان و علاقته مع الغير، و من جملة هذه العلاقات تتكوّن الأخلاق و القيم.

فموضوع الأخلاق ينقسم إلى مجالين متميزين:

أ- **علم الأخلاق العملي**: يبحث في أنواع الملكات الفاضلة التي ينبغي على الإنسان أن يتحلّى بها، ويمارسها كالإخلاص و الأمانة... و هذا كلّه تمثل أنواعًا من الأفعال لها مثال في الخارج.

ب- **علم الأخلاق النظري**: يبحث في المبادئ الكلية التي تستنبط منها مقاصد العمل البعيدة، وأهدافه العليا[1]، لذا تنوعت المفاهيم الأخلاقية و تعدّدت مواضيعها عند كلّ من ابن سينا، والفارابي و ابن رشد:

- **عند الفارابي**: الأخلاق محمودة أو مذمومة تستفاد بالممارسة و تكتسب بالعادة و المران.
- **عند ابن سينا**: يعرض في رسالته علم الأخلاق مثل: القناعة و العفّة و السخاء.
- **عند ابن رشد**: أساس الأخلاق عقلي، فالعمل يكون خيرًا أو شرًا لذاته أو بحكم العقل[2].

الأمر الأخلاقي في منظور رجل الفقهاء أمر الله به، أمّا ابن رشد نقيض ذلك و في رأيه أنّ العمل الخلقي يصدر عن معرفة عقلية.

نظرًا لأهمية الأخلاق في ضبط المجتمعات و تنظيمها خصّص الفلاسفة و المفكرين على امتداد التاريخ كتابات، فتعدّدت الآراء حول كتابات الأخلاق:

**أفلاطون (427-347ق.م)**: الخير هو القيمة الشاملة التي يجب أن يضعها كلّ سلوك في اعتبارها.

[1]- محمود حمدي زقزرق، **مقدمة في علم الأخلاق**، مرجع سابق، ص 18.
[2]- مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، مرجع سابق، ص 34.

**سقراط** (**469–399ق.م**) باعتباره واضع علم الأخلاق من وجهة نظر الكثير من مؤرخي الفلسفة إذا اعتبر الفضيلة و الرذيلة جهل[1].

بمعنى أنّ العلم بالخير الحقيقي يحتّم إرادته فعل خير، كما وضع مذهب في السعادة العقلية فقرّر أنّها الخير الأعظم، واتخذ هذا المذهب أيضًا **الأبيقوريون** (341–270) على اعتبار الأخلاق مذهب، وأنّ غاية الحياة اللذة، وتحقيق سعادة الفرد بتوفير إشباع الرغبات الروحية[2].

إنّ فلسفة الأخلاق بحث في معيار العيارات الأخلاقية و تحليل للسلوك الخلقي ليطرح الفلاسفة معيار السلوك، وتصورهم عن الحياة الطيبة للإنسان[3]، و هنا يرتبط الخير بالحق، أفننتقل من الإدراك و الواقع إلى القيم العقلية، كما يرى **أفلاطون**، وتصبح الفضيلة ممارسة الملكات الإنسانية الطبيعية وفق مبادئ الإنسان و إنسانيته، و ضرورة البحث في السلوك و التفكير بالأفعال الإرادية، بل وضع مبادئ نظرية تقتضيها تصرفات الأفراد.

[1]- موزه أحمد راشد العبار، **البعد الأخلاقي في الفكر السياسي عند الفارابي و الماوردي و ابن تيمية**، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، قسم الفلسفة، (د.ط)، 1421هـ، 2000م، ص 14.
[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[3]- مجاهد عبد المنعم مجاهد، **مدخل إلى الفلسفة**، دار الثقافة للنشر و التوزيع، مصر، القاهرة، (د.ت)، ص 176.

**مخطط بسيط يلخص نظرية الأخلاق و الفعل**

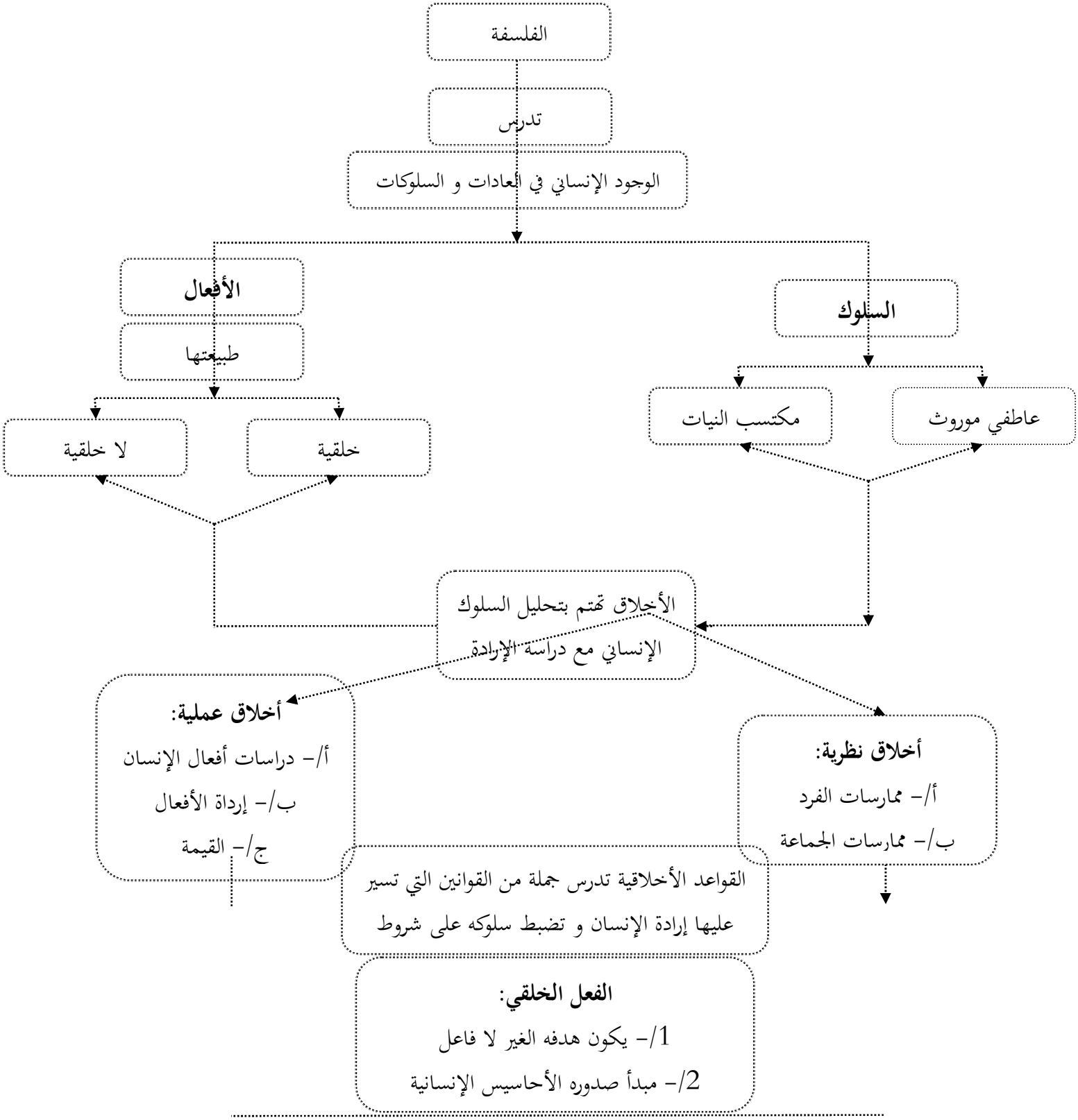


القدرة على أداء الفعل الخلقي ترتبط بالقدرة على التعلم في النفس، **و خلاصة القول أنّ الأخلاق واقع متصل بالفعل**

**المبحث الثالث: المنعطف الأخلاقي من الأخلاق إلى الأخلاقيات**

الفلسفة تأمل، و تأمّل الإنسان في نفسه نشاط أخلاقي على صعيد الفكر، يجعله يفهم تصرّفاته وسلوكاته، وهذا هو فعل الفلسفة الأخلاقية، فالأخلاق تفكير يتطور و يمس مجالين القول، و العمل و الممارسة الأخلاقية تنطوي على مذاهب و تيارات نظرية كانت أم تطبيقية «فالفكر الأخلاقي النظري المعاصر يستيقظ يقظة تامة بعد نقاهة موت أو صمت»[1].

ينعت أصل في **الأخلاق** بحفظ الأفعال الكمالية، إذ نجد في صبغة هذا الأصل لبسا بمفهوم الأخلاق يُستفاد منها أنّ الأخلاق أفعال يتوصل بها إلى ترقية الإنسان بمراتب خارجة عن وجود به أخلاق حسنة و هي الفضيلة.

وحد سقراط بين المعرفة والفضيلة أو كان يؤمن بأنّ سلوك طريق الفضيلة هو الأمر الذي يتناسب مع جوهر الإنسان العاقل يبدأ من استفتاء النفس الإنسانية العاقلة و استلهام ضميرنا الأخلاقي[2]، فالأخلاق ليست كمالات، إنّما ضرورات، بديل أنّ الإنسان لو أتى ضدّها ساءت أخلاقه و مساره، و الحاجة تدعو إلى إنشاء نظرية أخلاقية و أصولها الجمع بين شرط الأخلاقية و شرط الإنسانية، فضرورة الخلق للإنسان كضرورة خلقه، فلا إنسانية بغير أخلاقية.

يكون الخلق قويمًا عند الدخول في السلوك، و بعد الخروج إلى الوجود يبقى الفعل الخلقي، غير منفك عن الفعل الخلقي، لأنّ الإنسان يكون مسؤولاً.

[1]- جاكلين روس، **الفكر الأخلاقي المعاصر**، تر: عادل العوا، عويدات للنشر و الطباعة، بيروت – لبنان، ط1، 2001، ص 08.
[2]- مصطفى النشار، **مدخل جديد إلى الفلسفة**، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص 49.

فالأخلاق دراسة وتقييم للسلوك الإنساني على ضوء القواعد الأخلاقية التي تضع معايير السلوك، يضعها الإنسان أو يعتبرها التزامات و واجبات تتمّ بداخلها أعماله، أو هي محاولة التطبيق العلمي و الواقعي للمعاني التي يدريها علم الأخلاق بصفة نظرية ومجردة[1]، فهي بعد أفعال الإنسان لما كانت هذه الأفعال الأكثر من أن تحصى، كانت الأخلاق مثلها لا تحصى، و **الفعل الأخلاقي** في الواحد ليس رتبة واحدة بل رتب متعدّدة لا تقف عند حد، فقد يأتي الفرد مثلاً فعلاً معيّنًا تارةً ينزل به رتبة وتارةً أخرى غيرها، حتّى كأنّه فعلان مختلفان، و لما كانت أفعال الإنسان لا تتناهى، و رتبها هي الأخرى لا تتناهى، صار الشعور بهذا المعنى عموم هذه الأفعال أقرب إلى لإنسان منه في أفعال مخصوصة كأفعال الحساب.

الإنسان العادي السوي يشدّ الخير، و ينفر من الشرّ، و هذا أمرٌ عادي، الذي حاول أن يسير هكذا فقد حاول حقًّا أن يكون عمله خيرًا، و يكون قد حقّق الشروط التي إذا فقدت لم يكن العمل أخلاقيًا، و له إذن أن يكون راضيًا عن نفسه، و أنه لغير ملوم فيما اختاره لنفسه من مبادئ خلقية[2]، فإذا كان الإنسان يختار أفعاله الحرة بصفة إرادية و في حدود معينة فهذا الاختيار يكون بين ممكنين، فعلى الإنسان أن يعي ما يختار.

تطلق القيمة الأخلاقية على ما يتميز به الشيء ذاته من صفات تجعله مستحقًا للتقدير، أمّا في الأخلاق تعني الخير و نقيضه الشر، بحيث تكون قيمة الفعل فيما يتضمّنه من خير أو ما نرى فيه من خير، و لما كانت المطابقة بين الفعل و الصورة كانت قيمة العقل أكبر، إذ الفعل العقلي نفسه فعل خلقي، فهو يحتمل أن يكون خير أو شر، فإن كان خيرًا ارتقى بصاحبه درجة الكمال و إن كان شرًا انحط به.

[1]- مصطفى حسيبة، **المعجم الفلسفي**، مرجع سابق، ص 41.
[2]- أندريه كريسون، **المشكلة الأخلاقية و الفلاسفة**، تر: الإمام عبد الحليم محمود، دار الشعب، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1399هـ-1979م، ص 55.

تحدّد كلمة **أخلاقيات** وثيقة المعايير الأخلاقية و السلوكية المهنية المطلوب بأنّ يتبعها الأفراد، تعرف بأنّها بيان المعايير المثالية لمهنة ما تتبنّاه جماعة مهنية أو مؤسسة لتوجيه أعضائها لتحمل مسؤولياتهم المهنية، و لكلّ مهنة أخلاقيات هي عبارة عن مجموعة من القواعد و الأصول المتعارف عليها أصحاب المهنة الواحدة[1].

و **الأخلاق** هي المحدّدة لحقيقة الإنسان، و أخلاقياتها الرفيعة تتعدّد عن طريق العقل الذي يتبع القواعد المضبوطة لتنظيم سلوكاته فعلية تعيين الأخذ بالقيم الأخلاقية.

لأنّ العلوم و التقنيات الحديثة تثير بصورة مشروعة الحق كما أشار **بول ريكور** و الوضع مشبع بالأخطار الجسام لدرجة أنّ الإنسان ينزع إلى التجريب و التجديد، لا في قطاع خارجي عنه، بل في قلب الكيان الإنساني ذاته أفقي المنظمة التي كانت ممتنعة على سلطات الإنسان تدخل اليوم بوجه الدقة التقنية الإنسانية «إنّه كياننا الموروث»[2]. **بول ريكور**

[1]- مصطفى حسيبة، **المعجم الفلسفي**، مرجع سابق، ص 41.
[2]- جاكلين روس، **الفكر الأخلاقي المعاصر**،مرجع سابق، ص 18.

**المبحث الرابع: فلسفة البراكسييس (تجربة الإنسان و الوعي بالحياة):**

يخترق موضوع الوجود الفلسفة كمادة كونها جملة من التساؤلات، و الإشكاليات، فوجود الإنسان أول موضوع انشغلت به، ممّا أدّى إلى التفكير في مسائل عديدة حوله، يعدّ الفكر عنصرًا أساسيًا بينها، والواقع أنّه حينما يدلّنا على الموجودات الحيّة، هنا تكمن قدرتنا على تحديد الوعي الذاتي، فعالم الفكر هو عالم الواقع يظهر في سلوكاتنا و أفعالنا، يجمع وحدة الوعي و الفعل لأنّه مرتبط بالخبرة و التجربة الإنسانية في الكشف عن الوجود، وهنا ما يُعرف **بالبراكسيس** لفظ مرتبط بالتجربة الإنسانية والوعي «فبالوعي تكتمل الإنسانية، وبالوعي يكتسب الإنسان مسؤولية الإرادة و التصرف»[1].

**البراكسيس "Praxis"**: لفظ مشتق من اليونانية و معناه العمل أو الممارسة، و يطلق على النشاط الفيزيولوجي أو النفسي المؤدّي إلى حصول بعض النتائج و ضدّه المعرفة أو النظر[2]. و يدلّ عند الماركسيين على مجموع النشاطات التي تهدف إلى تبديل النظام الاجتماعي، كما يطلق لفظ **براكسيس** أيضًا على كيفية الوجود وهي المسماة بالملكة أو العادة، في معنى قول سارتر: «العمل يكشف عن الوجود... و موضعنا البحث في **البراكسيس** من جهة ما هي صانعة للتاريخ و المؤثرة فيه»[3].

يمثل الفاعل الفعل بكلّ تجلّياته، و وجود الفعل مرتبط بوجود الفاعل إذ يرى البعض أنّ الفعل محفّز للفاعل، منشئ ابن لحظته لارتباطه بالزمان و المكان، كما أنّ للماضي حضور من حيث ذكرى الفعل التي يستحضرها الإنسان في الحاضر، و قد يرتبط الفعل بالمستقبل قصد النية، فإن كان المستقبل أفق تجريب بما يقبل أو ما سيهل كحدث، فالحاضر لحظة إبداعية يتمّ تجريبها ذلك يعني أنّ الحاضر وحده هو من الفعل حاضر لا

[1]- إبراهيم فريد الدر، **الأسس البيولوجية للسلوك الإنسانية**، دار الآفاق الجديدة، بيروت –لبنان، ط1، 1403هـ-1983م، ص 336.
[2]- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، مرجع سابق، ص 205.
[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ينفكّ كتأسيس للوجود، و لعلّ أهداف انطولوجيا الفعل أنّه يوهم بفتح عالم للمعنى و يغلق معنى العالم الذي يبدعه التولّد و النشوء.

تعني **البراكسيس** التولّد و النشوء و القدرة على الإيحاء قدرةً تتضمّن الإنشائي و الصنعي و الإيتيقي، وتحمل في ذاتها تمامًا غايتها الواعية في صلب الزمن الحاضر، ذلك أنّ الحاضر وحده زمن من الفعل حاضرًا لا ينفكّ ينقسم لا نهائيًا إلى ماضي و مستقبل مدركين كتأسيس أنطولوجي في حالة فعل[1]. حيث يُمكننا أن نتصور كلّ أفعالنا حتّى وإن كانت آلية و نحن نعرف من ناحية أخرى عددًا لا نهائيًا من تشكيلات الكائنات المنظمة التي يؤدّي لديها تنبيه خارجي إلى ردّ فعل محدّد دون المرور عبر وساطة الوعي[2]. وبما أنّ الحاضر لحظة إبداعية يحيا الماضي في التجريب و يموت بالتأويل، ففي المحايثة من حيث هو اللحظة المناسبة لم يعد لمعنى الإنسان في العالم ولمعنى العالم أن ينفصل عن **البراكسيس** الذي يترحل بهما خارج سراديب التأويل الذي يوصلنا إلى الاعتقاد «وما يضمن حياة التأويل انّه لا وجود إلاّ لتأويلات متصارعة»[3].

فالتأويل في حدّ ذاته فعل والفعل تداخل الضرورة والمصادفة والقواعد والرغابات، وهو إعلان و معرفة وفهم و قسمة و معنى و **البراكسيس** "Praxis" أيضًا مصطلح إفرنجي يوناني يعني النشاط الذي غايته في حدّ ذاته، وهو السلوك في مقابل النشاط الذي ينتج شيئًا متميزًا عن النشاط ذاته[4]. كما أنّه منوط بالذوات الفردية والجماعية ما يُعزى هذه الذوات و يتساوى قدرًا و قيمةً بل يتفاضل حدةً و شدةً أمّا المرور المتعاكس بين الفهم والتأويل نقطة تطلع منها المنافذ، نقطة الالتقاء هذه هي الانبثاق المكرّر للحاضر، ولولا هذا الالتقاء لاستحالت كلّ الأفعال دون تأويل إلى مجرّد إنتاج و لارتدّ الوجود إلى جملة من الوظائف تكون قد انخرطت في مجال أوسع وهو مجال الفعل بما فيه من بواعث واختيارات ورغبات وضروب التواصل.

---

[1]- عبد العزيز العيادي، **فلسفة الفعل**، دار نهى، سفاقص – تونس، ط1، ماي 2007، ص 200.
[2]- هنري برغسون، **بحث في المعطيات المباشرة للوعي**، تر: الحسين الزاوي، مر: جورج كاتورا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت – لبنان، ط1، أكتوبر 2009، ص 47.
[3]- عبد العزيز العيادي، **فلسفة الفعل**، نفس مرجع سابق، ص 201.
[4]- مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، مرجع سابق، ص 136.

# الفصل الثاني:

# فلسفة الفعل [المسارات و الإشكالات]

المبحث الأول: نظريات الفعل في الفلسفة الغربية (إمانويل كانط و فريدريك نيتشه)

المبحث الثاني: سؤالات الفعل في الفكر الغربي (طه عبد الرحمان و عبد العزيز العيادي)

المبحث الثالث: فلسفة الفعل من الذات إلى التغيير

المبحث الرابع: أخلاق الفعل بين الإرادة والاغتراب و المقاومة

**المبحث الأول: نظريات الفعل في الفلسفة الغربية (إمانويل كانط و فريدريك نيتشه)**

**1/- إيمانويل كانط:**

يعتبر **إمانويل كانط*** أنّ معظم أفعالنا تتفق مع الواجب وإن لم تنبثق عن المنابع الصافية للوجدان، فهو أنموذجًا أول نحتذي به أفعالنا.

إنّ التصوّر أو المفهوم الأساسي في علم الأخلاق عند **إيمانويل كانط** هو مفهوم **الواجب** "Duty"، أو الإلتزام "Obligation"، وطبقًا لرأي **كانط** فإنّ صواب الفعل لا يتوقف على النتائج التي تنتج عنه بل يتوقف على طبيعته الفطرية، لهذا كان السبب علم شكلي و علم الأخلاق الشكلي هو الذي يكون فيه صواب فعل لا ستوقف على نواسجه الفعلية أو المحتملة أو المقصودة[1].

يعدّ **الواجب** بالنسبة **لكانط** بمثابة القانون الذي تخضع له الإرادة و الأفعال الإنسانية تكون خيرًا إن صدرت من أجل الواجب «و الفعل الذي يصدر عن الواجب لا تتوقف قيمته الأخلاقية عن النتائج التي يحققها أو الغايات التي يسعى إليها إنّما على المبدأ أو القاعة التي يستوحيها الفاعل في أدائه لهذا الواجب»[2].

فعندما يدرك الإنسان واجبه ويعتزم القيام به بصرف النظر عمّا إذا كان يريد أن يعمل الواجب أو إن قام بهذا الفعل يتصرف بفاعليته.

---

* **إيمانويل كانط "Immanuel Kant":** ولد في 22 أفريل 1724م-12 فبراير 1804، فيلسوف وعالم ألماني برز في المجالات التالية (الفيزياء الفلكية، الرياضيات، الجغرافيا، علم الإنسان) من بروسيا اعتبر عمومًا احد أكثر المفكرين المؤثرين في المجتمع الغربي و الأوروبي حاليًا، و الفيلسوف الرئيسي والأخير لعصر التنوير كان له تأثير حاسم على الرومانسية و المثالية و فلسفات القرن التاسع عشر، كما شكّل عمله نقطة بداية لفلاسفة القرن العشرين [أنظر: مصطفى حسيبة، **المعجم الفلسفي**، ص 108].

[1]- جون هوميروس، **مقدمة في مشكلات علم الأخلاق**، تر: عبد العلي عبد المعطي محمد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص 221.

[2]- محمد مهران رشوان، **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية**، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، مصر، القاهرة، (د.ط)، 1998، ص 162.

**الواجب** هو محور الأخلاق و الأفعال الأخلاقية تنبع من واجب عقلي للإنسان صاحب الإرادة أمّا الأفعال العفوية لا تعتبر أخلاقية حتّى وإن حقّقت خيرًا بالصدفة، الأفعال الإنسانية تكون خيرًا إذا صدرت من أجل الواجب «الواجب لا يُطلق من أجل المنفعة أو بلوغ السعادة، بل يُطلب لذاته و هو قاعدة غير مشروطة بمعنى أنّه لا يقوم على أّي شي آخر» فهو الدعامة التي يستند إليها كلّ حكم أخلاقي[1].

فالأوامر الأخلاقية أوامر مطلقة غير مشروطة، فالقاعدة الأخلاقية التي تأمرنا باحترام العهد و الوفاء ليست أمرًا مشروطًا لا هدف منها بل تتصف بالأخلاقية، و هذا ما يعني به **إيمانويل كانط** الفعل بمقتضى الواجب، «وتتميز فكرة الواجب عند كانط في فلسفته الأخلاقية بصلابة و قد ثبت عنها أنّ ما يطيب لنا فعله لا يمكن أن يكون واجبًا و أنّ كلّ ما لا يرغب المرء في فعله، لكن يؤمر بالقيام به يكون واجبًا بحجة أنّ الفعل الأخلاقي هو إتمام الفعل عن **الواجب**»[2].

تكون للفعل قيمته الأخلاقية إن اتّفق مع الواجب فقد ينبع من الوجدان و عن إنسان أمين بحسب التصرف لكن ليس بميله إليه بل عن الشعور بالواجب، فتأمين السعادة للإنسان واجب إذ نجد الناس جميعًا يميلون إليها أمّا الإحساس المحض بالواجب لا يوجد ما يدفعه إليه إنّما يقوم على الإرادة.

كما يتمّ الفعل عن الإحساس بالواجب لا ليستمدّ قيمته الأخلاقية من الهدف الذي يرجى بلوغه من ورائه، و ليس اعتمادًا على حقيقة موضوعه إنّما على مبدأ الإرادة و الفعل من وجهة نظر **كانط** صادق في كلّ

[1]- إيمانويل كانط، **تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق**، تر: عبد الغفار مكاوي، منشورات الجمل، كولونيا – ألمانيا، ط1، 2002، ص 163.
[2]- إيمانويل كانط، **نقد العقل العملي**، تر: غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت –لبنان، ط1، أكتوبر 2008، ص 27.

الأحوال، والواجب هو ضرورة إقدام بالفعل احترامًا للقانون «القانون الأخلاقي أي قانون وجودنا المعقول وهو قانون السببية»[1].

يعدّ القانون بمثابة مرجعية ثابتة للفعل الأخلاقي و مبدأ عام يجعل من الفعل فعلاً ذاتيًا محضًا كما وضع **كانط** قواعد أساسية تحدّد قيمة الفعل الأخلاقي أولها القاعدة التي تقول «إفعل الفعل بحيث تعامل الإنسانية في شخصك و في شخص كلّ إنسان سواك، باعتبارها دائمًا في الوقت نفسه غاية في ذاتها و لا تعاملها أبدًا كما لو كانت مجرد وسيلة»[2].

يُصبح الجميع مجرد وسائل تتحقق بها أغراض الفرد الذي يعامل الإنسانية في شخصه أو في الأفراد الآخرين، فتنعدم السمات الأخلاقية وتصبح الأفعال مذمومة فالطبيعة العاقلة في الإنسان غاية في حدّ ذاته ولو كانت سعادة العالم (طفل بريء) لكان قتل هذا الطفل فعل لا أخلاقي لذا على الإنسان أن يحافظ على كرامته الأخلاقية.

نادى **إيمانويل كانط** بمركزية العقل الإنساني فثباته على الأشياء الموجودة حوله فثيبات العقل أساس المعاملة الأخلاقية الإنسانية، كما «يُمكن القول بأنّ العقل الفعّال حين يفكّر و حين يعي أيضًا بفكرة يكون الفكر الواعي الخالص»[3]. فالعقل الفعّال مصدر المعرفة و ضروري للوعي للأشياء و المدركات.

يدافع **إيمانويل كانط** عن الأفعال الخلقية تلك التي تؤكّد مبدأ القانون الكلّي، لا بالحرية ذاتها لكن بوصفها نتيجة بالحرية وفقًا للقاعدة الآتية:

---

[1]- جيل دولوز، **فلسفة كانط النقدية**، تعريب: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط1، 1417هـ-1997م، ص 52.
[2]- إيمانويل كانط، **تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق**، مرجع سابق، ص 11.
[3]- محمد زيدان، **كانط و فلسفته النظرية**، دار المعارف، ط3، 1979، ص 150.

**إعمل دائمًا بحيث يكون في استطاعتك أن تجعل من قاعدة فعلك قانونًا كليًا**

**مبدأ القانون الكلّي** **قاعدة الإرادة الفردية**

هو المبدأ الوحيد المحرّر للإرادة الخيّرة علاقة الأفعال باستقلال الإرادة[1]

كما ميّز **إيمانويل كانط** بين الفعل الخلقي والفعل الذي تحكمه القوانين والتشريعات، فيرى أنّه من الممكن أن يأتي تصرّف الفاعل مطابقًا للقانون أو التشريع دون أن يكون جديرًا بصفة أخلاقية[2]. يعني هذا انّك انك يعدّ فعلاً خلقيًا إن صدرت كلّ السلوكات اعترافًا بالواجب، فالفاعل سواء كان فعل خيرًا أو شرًا يصدر عنه لا احترافًا إنّما يقضي واجبه فهذا هو الفعل الأخلاقي الذي يؤسّسه المبدأ العقلي فيجعله أصيلاً، إذا لا ندري مطلقًا إن كنّا نفعل الخير أداءً للواجب أم لسبب آخر و بما أنّه يُمكن للفاعل أن يفعل الخير عن طبية خاطر فقط و ليس من أجل الواجب.

فلا قيمة أخلاقية لأنّ السبيل الوحيد كي يثبت أخلاقيته هو أن يضحي بسعادته من أجل الواجب[3]. يعدّ **الواجب الكانطي** واجب عقلي خالص منزّه عن الأهداف و الغايات، فالفعل لكي يكون خيّرًا يجب أن يحترم القانون لأنّه واجب، أمّا من الناحية الأخلاقية لا يكون الفعل أخلاقيًا إلاّ إذا صدر عن **إرادة حرة*** و طبقًا للواجب.

---

[1]- كرستوفر وانت، أندرجي كليمو فسكي، **أقدّم لك كانط**، تر: عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 114.

[2]- محمد مهران رشوان، **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية**، مرجع سابق، ص 161.

[3]- جان فرنسو دورتي، **فلسفات عصرنا: تياراتها، مذاهبها، أعلامها و قضاياها**، تر: إبراهيم صحراوي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ-2009م، ص 416.

***الإرادة الحرة "Free volition":** اعتقاد فلسفي تدعمه في الكثير من الأحيان مدارس فلسفية و دينية متنوعة يقول بأنّ سلوك الإنسان و تصرفاته تنبع من إرادته الحرة بالكامل [أنظر: مصطفى حسيبة، **المعجم الفلسفي**، ص 50.]

يجب أن نسلّم بوجود الحرية، فالفعل الأخلاقي لا يستمد الأمن داخليًا إذ لا يُشتقّ إلاّ من الإرادة الداخلية، إنّه فردي يستلزم حرية الإختيار على اعتبار أنّ الأخلاق حرّة تختلف بموضوعاتها هذا الذي يُميّزها عن االتجربة، كما لا يُمكن تصور فعل أخلاقي بدون حرية الإختيار لذات الفاعل العقلة و الحرية التي نادى بها **إيمانويل كانط** ترتبط بالإرادة. تكمن الحرية في اتّفاق مزدوج، اتفاق الفعل مع الإرادة، و اتفاق الإرادة مع نفسها[1].

كما تؤسس الأخلاق عند **إيمانويل كانط** على فكرة الإرادة، حيث إرادة الفعل بمقتضى الواجب هي إرادة خيّرة، معناه أنّها إرادة تخضع لقانون الواجب فكلّ فعل أخلاقي ينبغي أن يؤدّي احترمًا للواجب و الفعل المتفق مع الواجب لا يهدف إلى تحقيق مصلحة شخصية لأنّه لا يتصف بصفة أخلاقية، إضافة إلاّ أنّه يتعارض مع الميول الطبيعي، فقد ميز كانط بيم الفعل الأخلاقي و الفعل الذي يصدر عن الميول كالتعاطف الوجداني الذي لا يستحق صفة أخلاقية.

**استقلال الإرادة** هو الخاصية التي تجعل منها قانون لنفسها بصرف النظر عن جميع موضوعات الفعل الإرادي مبدأ الإرادة هو أن يختار دائمًا بحيث تكون مسلمات اختيارنا متضمّنة في الوقت نفسه، كالقوانين الكلية بفعل الإرادة نفسها[2]. كلّ كائن لا يمكنه أن يفعل فعلاً إلاّ تحت تأثير فكرة الحرية ولأنّه مزوّد بالعقل والإرادة يقوم انطلاقًا من حريته الذاتية التي قاعدتها «افعل بحيث تكون إرادتك بمثابة مشروع يهتم بالناس قانونًا عامًا»[3].

الإنسان باعتباره مشرّعًا للقوانين من واجبه الخضوع لها بإرادته ذاته و باستقلالها الذاتي إلاّ تصدر الأفعال عن طبيعتها العاقلة، فهي المشرعة الوحيدة لها و المسؤولة عن جميع التصرفات الأخلاقية عند كانط هي علاقة

[1]- جان فرنسو دورتي، **فلسفات عصرنا: تياراتها، مذاهبها، أعلامها و قضاياها**، مرجع سابق، ص 435.
[2]- إيمانويل كانط، **تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق**، مرجع سابق، ص 131.
[3]- إيمانويل كانط، **تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق**، تر: عبد الغفار مكاوي، مر: عبد الرحمان بدوي، الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة –مصر، (د.ط)، 1385هـ/1965م، ص 75.

الأفعال باستقلال الإرادة أي التشريع الكلّي الممكن عن طريق مسلمات هذه الإرادة. الفعل الذي يمكن أن يتفق مع استقلال الإرادة فعل مسموح به أمّا المخالف لها فعل محرم.

تتعيّن الإرادة العامة من كلّ إرادته فردية حرية تهدف إلى أن تكون تعبيرًا، و ما هي إلاّ وسيلة يستخدمها الفرد، ومن حيث هي شاملة تعدّ تعبيرًا عن الفعل ذاته، الذي هو مصدر كلّ قانون.

كما ألحّ **إيمانويل كانط** على مفهوم الاستقلال الذاتي باعتباره سلوكًا إنسانيًا لاحترام المبادئ الأخلاقية التي يمليها العقل و الإرادة الشخصية، احترام القانون الأخلاقي هو علامة وجود الحرية الإنسانية لامتياز[1].

تصدر اختياراتنا من فعل إرادي حر غير مشروط الأسباب التي تدفع الفرد للتصرف و النتيجة غير مسبّبة لأنّ أفعاله و اختياراته لا تفسير لها فحرية الفعل أن نستطيع القيام بشيء ما لا نقرّه و الإنسان هو ما يفعل «فالتأكيد على أنّ الفعل إنساني هو الماهية الحقيقة للإنسان يعني أولاً أنّ الإنسان كائن يتميز بفعله بأنّه مرآة فكره فلاشكّ أنّ الفعل الإنساني ليس غريزيًا كما انّه ليس فعلاً من قبل ردود الأفعال اللاإرادية بل هو فعل يعبّر دائمًا عمّا يجول في خاطر صاحبه من فكر أراد أن يطبقه في حياته فكأنّ الفعل الإنساني عادةً ما يكون أولاً ناتج فكر و ثانيًا يكون مطابقًا أو تركيبًا لهذا الفكر»[2].

حاول **كانط** أن يخلق نوعًا من التوفيق بين الواجب لما يحمله من ضرورة و بين الحرية بما تعبّر عنه من إرادة، فأصبحت الأفعال تستمد صورتها ممّا يعرف بالقانون بوصفه السلطة الشرعية كما «يحثنا **كانط** على ضرورة القانون لقوله بوسعنا أن نملك قانونًا طبيعيًا بحيث تدرج الأفعال الأخلاقية تحت قاعدة عامة، و تحت قانون عملي

[1]- جان فرنسو دورتي، **فلسفات عصرنا: تياراتها، مذاهبها، أعلامها و قضاياها**، مرجع سابق، ص 429.

[2]- مصطفى النشار، **العلاج بالفلسفة، بحوث و مقالات في الفلسفة التطبيقية و فلسفة الفعل**، مرجع سابق، ص 48.

و بذلك يكون كلّ قانون عملي معبّرًا عن ضرورة الأفعال الحرة و يكون إمّا ذاتيًا بقدر ما يحدث وفقًا لإختيار الإنسان و إمّا موضوعيًا إذا حدث وفقًا لما ينبغي»[1].

يعني بذلك أن نتصرف في أفعالنا حيث نستطيع أن نرغب في أن تصبح مبادئنا قانونًا كليًا و لأنّ العقل الأخلاقي يأخذ بعين الاعتبار عواقب أعمالنا قد يجد الفاعل نفسه مسوقًا بأفعال مضادة للمعايير الصالحة تخالف القانون. كما «ينفي إمكانية تحديد الأفعال الأخلاقية انطلاقًا من قاعدة (الوسط الذهبي) بل يجب أن تكون صادرةً بالاتفاق مع القانون»[2].

يتضح هذا من خلال نقد **إيمانويل كانط** لأرسطو في تأسيسه للعقل الأخلاقي على الوسطية و يرفض إعتبار السعادة مبدأ للفعل الأخلاقي كونها مسألة ذاتية لا تصلح أن تكون قانونًا عامًا للأخلاق التي من المفروض أن تتأسس على مبدأ عقلية أولية «و ما دامت الأخلاق شيئًا ما يمكن تصوره إلاّ باللجوء إلى افتراض و هذا الافتراض لا يمكن تكريسه بأيّة بنية تجريبية ألا و هو مبدأ الحرية على حين أنّه لا سبيل إلى بلوغه إلاّ في شكل الواجب الأخلاقي في نظر **كانط**».[3]

يعدّ البعض حرية الإنسان أنّها ليست كلّ شيء في الحرية الإنسانية و حرية الإرادة أنّها ليست القدرة على الرغبة في شيء أو نقيضه بلا اختلاف ممّا أدّى إلى اعتبار المسؤولية هي الأخرى شرط لاحتساب أفعالنا ونسبتها إلينا «ينظر **كانط** إلى المسؤولية أن تكون للفاعل خاصية الوقوع تحت طائلة العقاب القانوني أو الأخلاقي، تأنيب الضمير، المعنى الذي يقول فيه القانون أنّ الفرد مسؤول عن أفعاله»[4]. لأنّ الإنسان المسؤول الوحيد عن ذاته

---

[1]- إيمانويل كانط، **أنطولوجيا الوجود**، تر: جمال محمد احمد سليمان، دار التنوير للطباعة و النشر والتوزيع، (د.ط)، 2009، ص 69.
[2]- إيمانويل كانط، **أنطولوجيا الوجود**، مرجع سابق، ص 24.
[3]- كرودبيجر بونر، **الفلسفة الألمانية الحديثة**، تر: فؤاد كامل، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، (د.ط.ت)، ص 131.
[4]- جان فرانسو دورتي، **فلسفات عصرنا**، مرجع سابق، ص 440.

وأفعاله بتوفر شروط المسؤولية فيه و هي الوعي و الحرية، و تعدّ المسؤولية إلحاقًا لنتائج الفعل لصاحبه كونه الفاعل الذي يحكمه الضمير و القانون يجعل من الفعل ذاتيًا محضًا.

يسمي **إيمانويل كانط** ضرورة القانون بالفعل الأخلاقي واجبًا إنّما يدعو إلى البحث عن الصفة المميزة للقوانين الأخلاقية التي يمكن أن تستخدم كمبدأ عام للفعل حسب القاعدة الآتية: «افعل بحسب المسلة التي يمكنها في نفس الوقت أن تجعل من نفسها قانونًا عامًا»[1].

و ترمي هذه القاعدة إلى أنّ أخلاق القانون تجعل السلوك الخيّر طاعة للقواعد و الالتزام بها تمسك بالحرية الإنسانية، «أمّا الإرادة الخيّرة غاية في حدّ ذاتها لا مجرد وسيلة او واسطة، ليست معجولة لكي تكون نافعة بل أن تكون جديرة بالتقدير، فأخلاقية الفعل عند كانط لا تقاس إلاّ بأخلاقية صاحب هذا الفعل»[2].

ويعتبر **نيتشه** الأخلاق الكانطية زائفة و سلبية أول ما اتجه إلى نقده الأمر المطلق أو الأمر القطعي الذي يقول عنه في كتابه (**العلم المرح**): «و ها أنتم أولاً تعجبون بالأمر المطلق في داخلكم أو بمتانة حكمكم الأخلاقي المزعوم هذا و بمطلقية الإحساس بأنّه في هذا يجب على الآخرين أن يحكموا مثلي أنا»[3].

فهناك أفعال لا يمكن أن تتطابق أبدًا، و تأكيد **كانط** أنّ ما يكون مقبولاً أخلاقيًا هو ما يكون مقبولاً للجميع بالنسبة لنيتشه هذا خطأ و يمتد نقده إلى عنصر آخر من عناصر فلسفة كانط الأخلاقية و هو قيمة العمل الأخلاقي «ففي نظر أنّ **كانط** مسؤولاً عن انقلاب خطير في القيم الأخلاقية عن طريق تحويل قيمة العمل إلى

[1]- إيمانويل كانط، **تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق**، 1385هـ-1965م، ص 75.
[2]- مصطفى عبده، **فلسفة الأخلاق**، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط2، 1995، ص 62.
[3]- جمال مفرج، **الإرادة و التأويل: تغلغل النيتشوية في الفكر العربي**، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت – لبنان، ط1، 1430هـ- 2009م، ص 36.

قيمة النية»[1]. و يؤكد نيتشه على أنّ القيمة الأساسية لعمل أو فعل ما لا دخل للنية فيه و يستطرد أخلاق النوايا و بالنسبة إليه سلبية كانط تظهر لنا.

**2/- فريدريك نيتشه:**

بيّن **فريدريك نيتشه*** أنّ الأخلاق إنتاج ذاتي حيث أعدّها من صنع الضعفاء و مصدرها الشفقة و الرحمة، فقسّمها إلى أخلاق السادة التي تتميز بالإرادة و الإبداع و القوة و أخلاق العبيد التي تخفي في باطنها الكراهية، يقول: «القوة شر لكن أشدّ من الشر أن يقوى الضعيف»[2]، والأخلاق الحقيقة يصنعها الإنسان الأعلى إذ هو المسيطر الذي يغيّر، المتميز بإرادة القوة و بالحرية و الإبداع والتفوق.

كما يرى **نيتشه** أنّ الأخلاق لا تقوم على أساس العقل وحده، أمّا بالنسبة للفعل البشري «يشدّد العود الأبدي على مغزى أفعالنا الحاضرة، فما نفعله الآن سوف يعود مرةً أخرى و مرة ثالثةً أنّه يبرز واقع مسؤولياتنا الشخصية عن أفعالنا».

فاتسمت أعمال **نتشه** بخصوص الأفعال برفض ما هو عقلي فتوقف عند مثالية **إيمانويل كانط** وما يفصل نيتشه عن **كانط** هو إيمانه بالصيرورة و في اعتقاد الكثير أنّ «ما سماه بالأمر المطلق: افعل طبقًا لمبدأ الفعل تريد أن يكون له قانونًا عامًا إهانةً لمكارم الأخلاق»[3]. ففي هذا تقريب للإنسان إلى الضعف و إبعاده عن إرادة القوة، حسب ما يعرف نتشه و يؤكد هذا يقوله: «لا أحب جبن المرء أمام فعلته، لا يجب عليه أن يستسلم بنفسه تحت

---

[1]- جمال مفرج، **الإرادة و التأويل**، مرجع سابق، ص 37.

* **فريديريك نتشه "friedrichnie czsache":** (1844-1900م) فيلسوف ألماني عالم النفس و عالم اللغويات و الفلسفة المعاصرة، المادية، المثالية الألمانية، الرومانسية الألمانية، و الحداثة عمومًا، ولد في قرية بساكسونيا من أسرة هولندية بولندية الأصل [أنظر: مصطفى حسيبة، **المعجم الفلسفي**، ص 376]

[2]- لورانس جين كيتي تشين، **أقدم لك نيتشه**، ترجمة إمام عبد الفتاح، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2004، ص 49.

[3]- المرجع نفسه، ص 37.

ضغط خجل أو حزن غير منتظرين و عوض ذلك سيكون الافتخار الشديد أفضل... ثمّ ما فائدة ذلك في نهاية المطاف؟ فالتوبة من فعل ما لا يعني إصلاحه، كما أنّ المعرفة و التفكير لا يمحوانه»[1].

يعتبر **نيتشه** أنّ الأخلاق لها مرجعية دينية مصدرها الديانة المسيحية، و جوهرها التفكير عن الخطيئة الأولى، إذا كانت مصدرها الدين فكيف نسميها علمًا وتصورها موجودة بالفلسفة السفسطائية والليبرالية ويتوضح هذا في العبارة التالية «يجب أن يكون المرء لاهوتيًا يؤمن بالقوة التي تدمر الذنب، أمّا نحن اللاأخلقيون فإننا نفصل عدم الإيمان بالذنب، إننا نعتقد أنّ الأعمال كلّها أيّ كان نوعها متساوية القيمة في أصولها وأنّ الأفعال التي ترتكب ضدّنا قد تكون مفيدة من الناحية الاقتصادية و مرغوبًا فيها في الصالح العام»[2].

فدعوة الإنسان يعيش وحده سمة من سمات الفردانية و من الصفات الجوهرية فكلّ فعل تتلوه نتائج غير مألوفة فغالبًا ما يصاحب الفعل نوعًا من الإكراه و الحذر، حيث يشعر المجرم أنّه ليست صفة للفعل الذي ارتكبه و ما يهم في نظر المجتمع هو أن يقتنع الفرد عن القيام بتلك الأفعال. «لا يجب أن نقول ما كان عليها أن أفعل كذا بل فقط غريب أن لا أكون قد قمت بهذا الفعل مرارًا و تكرارًا»[3].

ففي النهاية قليلة جدًا هي الأفعال النموذجية التي تقدم صورة مصغرة و حقيقية عن الفرد و إذا اعتبرنا كون غالبية الناس قليلاً ما يشكلون الفرديات فسنلاحظ أنّه نادرًا ما يشكّل فعل خاص طبع إنسان ما «كان إكراه الإرادة يعتبر أنّه هو من يضفي على فعل ما قيمته السامية و عندها يعتبر الله هو الفاعل»[4]. ففيما مضى كان الناس لا يعتبرون أنفسهم المسؤولين عن أفعالهم السامية، بل نسبوها إلى الله.

---

[1]- فريديريك نتشه، **إرادة القوة**، تر: محمد الناجي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (د.ط)، 2011، ص 78.
[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[3]- المرجع نفسه ص 95.
[4]- المرجع نفسه، ص 130.

إذا كنا لا نستطيع تقدير قيمة الفعل من خلال أصله ولا من خلال عواقبه ولا الظواهر التي ترافقه، فإنّ قيمته تظلّ مجهولة و أسبابه تتعدّد و فيما يرى فريدريك أنّ دافع الشعور أساسي في تفسير الأفعال و يتوضح هذا في **العبارة التالية:** «كنا نعتقد أنّنا نحن أنفسنا في الفعل الإرادي بسببية وهنا على الأقلّ كنّا نفكّر في مفاجأة السببية في حالة تلبس لم نشك في أنّ فعل ما أسبابه كان يجب البحث عنها في الشعور و أنّنا لو بحثنا عنها لعثرنا عليها على شكل مبرّرات و إلاّ لما كنّا أحرارًا في القيام بهذا الفعل، و لما كنا مسؤولين عنه»[1].

فالفعل كونه مجرّد من أيّة قيمة فالمهم أن نعرف الفاعل وإن أصبح الإنسان يسيطر بالتدريج على كلّ حالاته السامية ويستأثر بكلّ أفعاله و أعماله وكثيرًا ما تردّ هذه الأخيرة إلى الضمير كما «يعتقد نيتشه أنّه من الخطأ أن قول أنّ قيمة فعل ما تتوقف على ما سبقه في الضمير فبهذا المقياس قيست الأخلاقية، بل و الإجرامية يجب أن نقيس قيمة الفعل من خلال عواقبه كما يرى النفعيون و نقيّمه تبعًا لأصله».

إنّ أكثر الصيغ التي نجدها في أصل كل ديانة، وكلّ أخلاق شيوعًا هي: «فعل هذا وذاك، وامتنع عن هذا وذاك، هكذا ستصبح سعيدًا»[2]، و يبقى الفعل مرتبط بالظواهر، و ما يواكب ضميره من إقرارية، أو رفضه بعد القيام به، و الإرادة سبب إذ علينا أن نعي إرادتنا لنستطيع إعتبار أنفسنا سببًا.

يعلم **فريدريك نيتشه** أن كثرة من الإرادات في عصر حداثتنا المنحطة تتستر بكيان شبحي خلف تقويم الفعل البشري، فأثر تشخيصه النقدي التوقف عن إرادات متفاوتة ومتساوية أحيانا، فيرى أن ديمومة الصراع يمنح القوة.

[1]- فريديريك نتشه، **أفول الأصنام**، تر: حسان برقية، محمد الناجي، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 1996، ص 47.
[2]- المرجع نفسه، ص 45.

يعدّ صراع الإرادات شرط أساسي لاستمرار حياة القوى، والصراع تحقير للإرادة، وليست ثمة من هو أخطر على هذه الحياة، وحتى على الإرادة من شخص العبد النيتشي هو من حُرم الحرية والإرادة المقدورة[1] يرى نتشه أن الإنسان إذا فكر في الخطيئة والألم الماضي يجعل حاضره ومستقبله متشائما لذلك اقترح البديل وهو إرادة القوة، حاملها الإنسان الأعلى الموجود في ذهنه فقط.

«قوة الإرادة ما تسميه اللغة غير الفلسفية، الأساسي، هذا هو أن لا نريد فعل شيء ما، أن نعرف كيف نعلّق قرارانا»[2]، إذا كان بوسع فلسفة **فريدريك تتشه** التفريق بين مناظر القوى، وإرادتها، فلا ينكر نيتشه الإرادة المقتدرة على العبد وحسب، وإنما ينكر عليه أيضا الصورة التي يرسمها للسيد من خلال استلهام يعينه لصورة الصراع كما حددتها جدلية السيد والعبد الهيجلية[3]، يختزل **فريدريك نتشه** الاختلاف في أنه تصالب بين فعل ورد فعل والحال أن فعلان بشريان في تطاحن قوى وتصارع.

يبحث **فريدريك نيتشه** عن إدارة القوة المتوفرة عند الإنسان الأعلى الذي يجعل الأخلاق من صنع الأقوياء، ويغير القيم ، ويحمل الشجاعة من أجل تجاوز كل الأوهام، و الأوثان لكن تصوره للعود الأبدي وللإنسان الأعلى تصور مثالي لأنه محصور في ذهنه، ولا سبيل لتجسيده على أرض الواقع رغم أنه بدا ناقدًا للأخلاق والتعاليم المسيحية.

ينبه إلى ضرورة التمييز بين الأخلاق الإنسانية (أخلاق الخير والشر)، وبين الأخلاق الإنسانية السحيقة القدم، تلك التي لم تعرف من سلطة أخلاقية أخرى غير العادات والتقاليد، والأعراف التي سنتها جماعة ما

---

[1]- عبد العزيز العيادي، البشير ربوح، **فلسفة الفعل: من محاولات التأسيس إلى أفاق النقد**، دار الأمان، الرباط، (د ت)، ص 160.
[2]- فريدريك نتشه، **أفول الأصنام**، نفس مرجع سابق، ص 72.
[3]- عبد العزيز العيادي، البشير ربوح، **فلسفة الفعل: من محاولات التأسيس إلى أفاق النقد**، نفس المرجع السابق، ص 161.

لنفسها[1]، فالأخلاق كمحاولة لبث الفخر في الإنسان تعطي له الحق من أن يجعل نفسه سببا في أوضاعه، وأفعاله إنها شكل من **الشعور بالفخر المتنامي**. ما يدفع الأخلاق ليست هي الغرائز الأخلاقية، بل غرائز الانحطاط التي تريد من خلال الأخلاقيين أن تسود الأخلاق الغريزية لدى الأعراق القوية.[2]

حلت الكنيسة محل الفلسفة القديمة والأخذ بها آمنت بالقوة التفكير للعقاب، إذا لا يصلح أبدا المغفرة لا تستطيع المحو، فما قد تمّ فعله لا يمكن أن يصير غير معقول يخلق الفعل نتائجه في الإنسان وخارج الإنسان[3]، فكلما سعينا إلى سن المسؤوليات فإن إرادة العقاب والمحاكمة أساس تنظيم الأفعال.

عادة ما يحكم على الفعل من حيث القصد أو من حيث مطابقته للقانون، وحسب الدوافع التي تأتّى بها الفعل، «فالحكم على فعل ما بأنه أخلاقي أو لا أخلاقي يتم بعد أن يكون هذا الفعل قد تم القيام به فعله»[4] ولو اختفى الجزاء والعقاب فإن البواعث القوية التي تجعلنا نتحول عن بعض الأفعال، وتدفعنا إلى القيام بأفعال أخرى ستخفي هي كذلك المصلحة الإنسانية تقضي تأييدها. وما دام للعقاب والجزاء، الذم المدح أثر دقيق على الغرور فإنّ هذه المصلحة تتطلب تأبيد الغرور كذلك[5] فالقانون يُحرِم بعض الأفعال المشينة التي ترتكب المخالفة، وفي هذا يتدخل العقاب، والفعل يقايس حسب قيمته سواء عقبه ثواب أم عقاب.

كشف **فريدريك نتشه** في **الجينيالوجيا*** عن الأصل اليهودي للخلقنة، فقد كان الضعيف عموما يجنح إلى الأخلاق ليتستر بها عنوة ضد حقيقة بشرية، وقد نفى نتشه أصلا وجود ظاهرة يمكن تسميتها بالظاهرة الأخلاقية، **فيقول** «إن مبدئي الأعظم: ليست هناك ظواهر أخلاقية و إنّما يوجد فقط هذا تأويل أخلاقي لهذه الظواهر، وهذا

---

[1]- فريدريك نتشه، في **جينالوجيا الأخلاق**، تر: فتحي المسكيني، مر: محمد محجوب، دار سيناترا، تونس، (د ط)، 2010، ص 18.
[2]- فريدريك نتشه، **إرادة القوة**، مرجع سابق، ص 128.
[3]- المرجع نفسه، ص 96.
[4]- فريدريك نتشه، **إنسان مفرط في إنسانيته**، محمد الناجي، إفريقيا الشرق، (د.ط)، 2002، ص 44.
[5]- المرجع نفسه، ص 69.

التأويل نفسه من أصل أخلاقي أرفع»[1]، فقد أكّد نتشه أن الأحكام الأخلاقية مجرد محاولات تأويل لأنها تحتاج إلى مقاومة فكرية وجهد بشري، فقد جمع بين التأويل والخلف.

**بعض الانتقادات الموجهة إلى فريدريك نتشه:** قدم **فريدريك نتشه** جملة من الاعتراضات واجه بها **إيمانويل كانط** في فلسفة النقدية، فلم يكتف بدحض أرائه إنّما توجه إلى التساؤل عن السبب الذي دفع كانط إلى رفع العالم الأخلاقي فوق النقدي، فأرجع السبب إلى صلة كانط العميقة بالدين، فإعلان نتشه الحرب على كانط كان بمثابة إعلان الحرب على المسيحية، لأن فكرته المركزية هي فكرة تحرير الذات التي سادت في العصرين الوسيط والقديم.

كما توجه النقد إلى **نتشه** في أنه «لم يكن ينظر إلى التعليم المتزايد الانتشار، وإلى التربية الصائرة، تربية عامة أكثر فأكثر على أنه تحرير من الجهل يقدر ما كان ينظر إليه كخطر أو مرض يتهدد أوروبا».[2] حيث كان اعتقاده أن المرء يعتبر نفسه متعلما فيشرع بنسج نظراته الخاصة إلى العالم، فتكون أفعاله مجرد مواعظ يلقيها على من حوله، كما ينطلق إلى تحليل نظرية الدولة والقانون، بطرح فكرة القوة أو إرادة القوة على أنها مبدأ أساسي يجب الارتكاز عليه لذلك يسخر من **كانط** حين رسم خطة تحقيق السلام الدائم، يرى الكثير أن «نتشه مخطئ كثيرا فيما يدلي به، والحقيقة أن اعتراضاته على **كانط** لا تتقدم بنا إلى الأمام يل تعود بنا إلى التقهقر»[3]، فمطالب نتشه كلها نوع من شقاء الإنسانية تدفع بالفرد إلى الانحراف.

---

* **الجينيالوجيا "Généalogies":** يعود الفضل في تناول المصطلح في الفكر الفلسفي المعاصر بدون شك إلى الفيلسوف الألماني نيتشه، ظهر في اللغة الفرنسية في القرن الثالث عشر ميلادي، مشتق من الكلمة اللاتينية "Généalogies"، المنحدرة من الكلمة الإغريقية "Genealogos"، تدل على سلسة من الأسلاف تربطهم قرابة نسبية، كما تدل على العلم المتخصّص في البحث عن أصول ونسب العائلات [مصطفى حسيبة، **المعجم الفلسفي**، ص 157].

[1]- عبد العزيز العيادي، **فلسفة الفعل**، ص 165.

[2]- جمال مفرج، **الإدارة والتأويل**، ص 43.

[3]- جمال مفرج، **الإدارة والتأويل**، مرجع سابق، ص 49.

**المبحث الثاني: سؤالات الفعل في الفكر العربي (طه عبد الرحمان، عبد العزيز العيادي).**

**1/- سؤالات الفعل في الفكر العربي طه عبد الرحمان:**

حاول الدكتور **طه عبد الرحمان*** التطرق لمسألة العقلانية ومفهوم العقل، ودراسة فلاسفة اليونان، ولموقف الفيلسوف الألماني **إيمانويل كانط**، فكان سباقًا إلى طلب التغيير و التجديد في الأمة، فدعى إلى تجديد العقل باعتباره أكبر تحديات التغيير فخصص بذكر العقل العربي، بعد دراسات ناقشها ليتوصل إلى الدراسات الإسلامية في مفهوم العقل.

يرى أنّ كل ما نجده هو أن العقل فعل الأفعال مثله مثل السمع والذوق والبصر، فهو واحد من الأفعال الإدراكية التي يقوم بها الإنسان في حياته[1]، ففي نظره أن التأخر الذي أصاب الأمة العربية والإسلامية جعل تفكيرها يمحو مقامها، ويزيحها عن التجديد، أما العقل في مفهومه "فعل من أفعال القلب"، وهو الفعل الذي يختص به القلب، أي يكون فعلاً من الأفعال أو سلوكا من السلوكات التي يمارسها الإنسان فحسب، فكما البصر معلول للعين، العقل هو الآخر معلول لذات حقيقية.

العقل هو الفعل الذي تتبع فيه صاحبه قواعد مضبوطة توصله إلى تحقيق أكبر انتفاع ممكن بالنظر إلى الظروف التي يوجد فيها[2].

* طه عبد الرحمان واحد من أصحاب المشاريع الفكرية من الفلاسفة المعاصرين قدّم للفلسفة عددًا من الدراسات التي استحق بها شهرته، و وصيته. [أنظر: إبراهيم مشروح، **طه عبد الرحمان: قراءة في مشروعه الفكري**، ص 07]

[1]- طه عبد الرحمان، **الحوار أفقًا للفكر**، الشبكة العربية للإعداد والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص 41

[2]- طه عبد الرحمان، **الحق العربي في الاختلاق الفلسفي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2008، ص 190.

تنطوي أقدار فريدريك نتشه فيما يخص معرفة تعقل الموجودات والأفعال الإنسانية حول الذنب والعقاب بحيث يكون العقل البشري في حالته الوضعية مستندا على المفاهيم المطلقة ومعرفة الأسباب الخلفية لهذه السلوكات، إذ يدعو إلى « اكتشاف القوانين التي تحكم الظواهر، أي علاقتها الثابتة، وذلك باستعمال التفكير والملاحظة»[1].

أما الفهم الأخلاقي للعالم الذي يجعله موضعا للذنوب والمظالم ففي نظر نتشه فهم قاصر، إذ ذهب إلى انتقاد **هيرقليطس** الذي يكتفي بوصف العالم الموجود في نظره أنّه يعتبر الإنسان بشكل عام كائن غير عاقل، «وهذا ما يتعارض مع واقع القانون والعقل الكلي يكتملان داخل مجمل ذاته»[2].

يعد **نتشه** الإنسان بمجمله ضرورة لا حرية مطلقة كما درس فلسفة **أنكسمتدريس** لاهتمامه بدراسة الطبيعة ورقصه لتقسيم الوجود إلى عالم الصيرورة والواقع وعالم اللامحدود الذي لا يخضع للفناء والعقاب، وكما يرى **أنكساغوراس** أنه يجب على الإنسان أن ينطوي في ذاته على قدرة التفكير مثلما أحسن دكتور **طه عبد الرحمان** اهتمامه بالعقل وتجديد الفكر، احتوى أيضا نسقه الفلسفي على تحويل **الفعل** كموضوع إلى الفلسفة العربية الإسلامية، والحاجة تدعو إلى إنشاء نظرية أخلاقية مجال البحث فيها السلوك الإنساني.

«إذ يبقى العقل الخلقي غير منفك عن الفعل الخلقي لأن الإنسان يكون فيه مسئولا بوجه من الوجوه»[3]، فضرورة الخلق للإنسان كضرورة خلقه، فلا إنسانية بلا أخلاقية، مع أن الأخلاقية أحقّ خاصية بتعريف ماهية الإنسان من العقلانية إذا الفعل العقل نفسه فعل خلقي، فهو يحتمل أن يكون خيرا أو شرا، فإن كان خيرا ارتقى بصاحبه

[1]- فريدريك نتشه، **الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي**، تر: سهيل القش، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1403هـ/ 1983م، ص 24.
[2]- المرجع نفسه، ص 62.
[3]- طه عبد الرحمان، **سؤال الأخلاق**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2000، ص 54.

درجة في الكمال العقلي أو السلوكي، وإن كان شرا انحطّ به درجة لذا يرى الدكتور طه أنّه: «يتعين على الإنسان أن يأخذ بالقيم الأخلاقية في تصرفاته، فإذا مع نفسه يتخلق مع غيره، كما يتعامل مع خالقه، فيأتي بما أمر به لأن أمره أساس الخير، وتخلقه مع الخالق كثير بأن يجعله يتخلق مع الكائنات كلها بدءا من نفسه»[1]، فالأصل في الأفعال الخلفية أنها تنصب أساسا على مكارم الأخلاق، والإتيان بالأفعال الحسنة رتبة إنسانية، وصدور الأفعال من الأحاسيس، الإنسانية الغاية منه انتفاع الغير ورفع درجة الكمال العقلي، والسلوكي الذي يرقى بصاحبه إلى أعلى مراتبه.

كما تناول الفيلسوف المغربي **طه عبد الرحمان** قضية الأخلاق والحديث عنها يقتضي تحديدا في منظوره وضع مبادئ وقواعد أخلاقية هو تأديب المجتمع، وبلوغ مرتبة التخلق وكمال السلوك فيوجز الدكتور أصول هذا النقد الأخلاقي في:

- «الأخلاق صفات ضرورية يختل بفقدها نظام الحياة.
- ماهية الإنسان تحددها الأخلاق وليس العقل.
- الأخلاق مستمرة من الدين»[2].

إذ يرى أن المبادئ الأخلاقية تستمد من الدين بالدرجة الأولى كونه عنصرا ضروريا في تحقيق الكمال الإنساني، أما العقل وحده غير كاف للتغلب على القوى المادية والشهوانية لأنّ العاطفة كثيرا ما تغلب العقل، كما أن غاية الأخلاق عند طه عبد الرحمان لقاء الله سبحانه وتعالى، وهنا تكمن السعادة الروحية.

[1]- طه عبد الرحمان، **بؤس الدهرانية**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 2014، ص 140.

[2]- إبراهيم مشروح، **طه عبد الرحمان: قراءة في مشروعه الفكري**، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص 19.

إذا كان التعبد لله وحده هو الغاية من خلق الإنسان، لزم أن تهيمن هذه الغاية العظمى على جملة أفعاله، بحيث لا يحصل منه الفعل إلا وهو يسير به قدما إلى تحقيق هذه الغاية، ولا يقين في قدرة أي فعل إلا إذا جاء على مقتضى الحكم الإلهي[1]، فالعاقل هو من يختار لغايته أنسب الوسائل، وفي هذا تأكيد على الإقرار بأن أي فعل هو حدث يشهده الحكم الإلهي.

أما عن الحكم الأخلاقي فالحديث متداول في فكر الفيلسوف طه عبد الرحمان يعتبره ناشئ من دخول القيم الأخلاقية على أفعال الإنسان ، «وبيان ذلك أنّ الأخلاق في الدين لا تنحصر في الأعمال التي لها صلة بأداء الشعائر الدينية المقررة أو إنما تتسع لكل الأفعال التي يأتيها الفرد في حياته»[2]، فهذا ما يلج بنا إلى طموح مشروع طه عبد الرحمان الذي أسسه على فكرة الفعل والعمل، إذ نجد دلالة الفكر فيما يدعونا إليه من خلال مفهومه للعمل والفعل والذي حدّده في العبارة الآتية: «معلوم أن العمل فعالية خاصة تتجلى بها حركية الإنسان، فكل عمل فعل، لكن ليس كل فعل عمل، وكل فعل حركة لكن ليست كل حركة فعل، لأن الحركة، ولو أنها انتقال قد لا تخلف أثرا، في حين أن الفعل يؤثر ويغيّر» [(3)]، إذ يربط دلالة الفعل بالحركة والتأثير، كونه لفظ عام يشمل أي كائن، وقصد الفعل يجعل من الإنسان كائن قادر على تحقيق ذاته.

كما يضيف **طه عبد الرحمان** في أخلاقية الفعل الإنساني «أن لكل فعل من الأفعال الإنسان قيمته أخلاقية، ويرد عملية التصنيف إلى العقلانية السطحية التي تدرك الفعل في تناهيه وليس في لا تناهيه»[4]، وأما العقلانية التكاملية إدراك للسلوك في علاقاته التي لا تنتهي مما يؤدي إلى إدراك أخلاقية كل فعل.

---

[1]- طه عبد الرحمان، **روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الإنتمائية**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط2، 2012 ، ص 80.

[2]- المرجع نفسه، ص 83.

[3]- عبد الرحمان، **سؤال العمل بحث عن الأصول العملية في الفكر و العلم**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2012، ص 17.

[4]- عبد العزيز العيادي، **فلسفة الفعل: من محاولات التأسيس إلى أفاق النقد**، ص 401.

لابد من الإشارة إلى متبع عند **طه عبد الرحمان**، حيث أنها مطلب كمالي، وحسب رأيه أن الأفعال الإنسانية لا يندفع إليها الفرد حسب إرادته، إنما يتعاطاها وفق ضوابط توفي مصالحة وحاجته،كما يرى أن الإنسان «لا يكتفي بالسعي إلى بلوغ درجة الإتقان في الفعل بل قد يتحرى الإتيان بأزكى الأفعال وأكملها متحققًا بوصف "الإحسان"، ولو أنه لا يبلغ في النهاية، إذ أن أفعال الخير مراتب ليس لها حد تفق عنده، فيتضح أن طالب الكمال بنوعيه، "الإتقان" و "الإحسان"».[1]

يقصد بهذا أنّ البحث عن الصلاح لا يتم إلا بقيم أخلاقية، كما أن الحديث عن القيم الإنسانية ومنبعها يسوقنا إلى حديث الدكتور عبد الرحمان عن الإدارة بنوعيها الإنسانية والإلهية، وعلاقتها بأفعال الإنسان كون هذا الأخير له اتصال مباشرة بإرادته، وهنا يعطي الفيلسوف عبد الرحمان الأولوية التامة للإدارة الإلهية.

فيرى أنه «يلزم أن تكون إرادة الله هي أقرب إليه، أقدر على الإحاطة بحاجاته ومصالحه من إدارته، فتكون أولى منها، بما لا يقاس لتشريع لحياته»[2]، فالإرادة الإلهية عنده نطاقها أوسع لأنها مطلقة بينما الإرادة البشرية مطلقة، ولا مصدر مطلق قادر على التدبير من إرادة الله فالله هو المدبر الوحيد الوجود الإنساني.

## 2/- سؤالات العقل في الفكر العربي عند عبد العزيز العيادي

فكر الأستاذ **عبد العزيز العيادي** أصيل في تاريخ الفلسفة، يكاد يقرب من فلسفة **فريدريك نتشه**، يدرس الوجود، فانتقل من فلسفة العقل إلى الفلسفة الترحلية (البدوية)، وبقي انشغاله بالفكر **والتفكير الإتيقي، والتراجيدي**، كما بحث في مفهوم فكر الحياة الذي هو منغرس في صلب التقليد الفلسفي، ولعلّ نتشه أكثر من فصّل القول فيه من زاوية **جينيالوجية** ما بعد ميتافيزيقية[3].

[1]- طه عبد الرحمان، **روح الدين**، مرجع سابق، ص 86.
[2]- المرجع نفسه، ص 198.
[1]- عبد العزيز العيادي، **فلسفة الفعل من محاولات التأسيس إلى آفاق النقد**، مرجع سابق، ص417

فما يعمل المفكر هو رسم **اتيقا** تدفع للنهوض بالحياة، وهذه الصيغة من التفكير تزيد من إعادة النظر حول الفكر والعمل، والعلاقة بينهما، على إعتبار أن الفعل أساس للفلسفة، والتوجه إلى الفعل فكرا وممارسة هو ما يكشف عمق فلفسة **البراكسيس** حيث لا شيء يقع خارج الفعل إذا ما تعلق الأمر بذات الفرد وعلاقته بالأخر.

يقودنا التفكير في الفعل إلى التفكر في المسؤولية والإرادية، والحرية كونها مبادئ أخلاقية وإلى إطار البحث في خصوصيات ومميزات الإنسان خصوصا مسألتي العقل والفكر، بهذا يعتبر الفعل الإنساني حدثا تتجلى فيه علاقة الإنسان والفعل بالفاعل المتصف بالإرادة التي تعد الركيزة الأساسية التي ينبني عليها كمال الفرد الأخلاقي.

شكل الحديث عن وجود الإنسان وتفكيره بحث عميقا في الفلسفة فتطور إلى التساؤل عن فكر، وعلاقاته الفكرية، والجماعية من حركة وحوار مبدؤها التواصل والفعل، إذا لا يخلو التفكير الإنساني من ممارسة المفارقات، وفي هذا النطاق يستهل الحديث بسؤال عن علاقة الفكر بالفعل، فهل لنا أن نفكر بالفعل، ونفعل بالفكر؟، وذلك لنظر المركب لفلسفة الفعل، والذي يدعونا للتساؤل عن علاقة الفلسفة بالفعل؟

إن مبدأ الفعل هو القدرة على الفعل من حيث هي قدرة لسنا نعلم نحن ذواتنا تقدر عليه، ففي **الإتيقا***. لا يتمثل المبدأ والرهان في وجوب الفعل وفق قانون أخلاقي بل في استطاعة الفعل والقدرة عليه بالممكنات الإنسانية[1]، إذا أشار الدكتور **عبد العزيز العيادي** إلى أن الفعل يعبر عن شخص **إتيقي** ومواطن سياسي، أما الفعل الذي يعد سلوكا أو تصرف مقصودا فتوجهه القصدي يكفل طابعه الإنساني وحقيقته الأخلاقية، والشخص ذاته يحقق الغرض الإتيقي من التفكير في ممارسة هذا الفعل.

* **الإتيقا "Ethic":** علم الأخلاق من اليونانية، نظرية الأخلاق والتعليل العلمي لهذه أو تلك المنظومات الأخلاقية، لفهم معين، الخير والشر، والعدالة، والضمير، والسعادة، ومغزى الحياة، [أنظر: مصطفى حسيبة، **المعجم الفلسفي**، ص74].

1- عبد العزيز العيادي، **فلسفة الفعل**، مرجع سابق، ص32.

يوقظنا التفكير في الفعل على ضرورة الانتفاح على مفاهيم نبني دلالتها ونحدد معانيها بمقدار اقترابها أو ابتعادها عن مفهوم الفعل لأجل ذلك لا ينفصل التفكير في الفعل عن التفكر في المسؤولية والإرادة والقرار والاستقلالية[1].

ينظر الدكتور **عبد العزيز العيادي** إلى الأخلاق أنها جملة من القيم، وقواعد الفعل التي يؤمر بها الأفراد والجماعات عن أجهزة مختلفة كالمؤسسات والأسر، تصاغ في مذهب متناسق كما يعني بها «السلوك الواقعي للأفراد في علاقته بالقواعد والقيم والكيفية التي يدعن بها هؤلاء الأفراد للأوامر الأخلاقية»[2]، فمعارضة أو احترام أو إهمال هذه القيم يستدعي وجود نظام من القوانين والأوامر الصريحة أو الضمنية، إذ تضم الأخلاق قواعد السلوك التي تحكم القواعد القانونية، مما يعني أن كل فعل مرتبط بواقعه وفقاً للقانون.

كما يحدد الحكم الأخلاقي إيجابياً نمط الفعل الذي يتوجب القيام به وإذا كان هذا الحكم يكتسي صيغة سلبية مؤكدا على ما يجب تحاشيه فإن غايته الأساسية تتمثل في قول ما يجب فعله على ضوء قيم مثالية.[3]

ومنه نستنتج أن الحكم الأخلاقي مستقل عن اختيار الذات، وأن الأوامر القوانين تتعلق بسلوكات الأفراد، وفي منظوره أن الأخلاق خطاب معياري يتعلق بالحكم على الوجود، في مستوى ما يسهم به الفعل من إظهار لحقيقة الفاعل في إطار الحكم بأخلاقية.

يستخلص **الأستاذ عبد العزيز** نتيجة عرضه للخصائص الأربعة للفعل الذي أتى به **بول ريكور** السابقة الذكر، أن الفعل لا يتم في عزلة، ولا يصدر عن إرادة الفاعل ومقاصده وحدها، بل ينبغي أن تقدر كميته ومقداره

[1]- عبد العزيز العيادي، **فلسفة الفعل من محاولات التأسيس إلى آفاق النقد**، مرجع سابق، ص426
[2]- عبد العزيز العيادي، **إتيقا الموت والسعادة**، دار صامد للنشر، صفاقس-تونس، ط1، أفريل 2005، ص48.
[3]- المرجع نفسه، ص49

حسب قدرة الفاعل. «فمتى قيست الأفعال ملتزمًا بتلك الأحوال من زمان ومكان، ووسيلة وغاية وفاعل، وآخرين يتم معهم الفعل أو يتوجه إليهم»[1]، فالشبكة المفهومية للفعل مرتكزها الفاعل كون الفعل صفة للفاعل.

كما أنه «لا معنى للفعل إذا لم يقترب بتفاعل بين الفاعل والفاعلين ليصبح مشاركة وشراكة في إطار عالم بدائي يصنفه الجميع، ولا قيمة للفعل ما لم يكن له أثر في العالم الذي نحن جزء منه، وهو جزء منا».[2]

إذ يمثل انفتاح الفعل على الغيرية شرط إمكان القول **بالإتيقا** والسياسة هنا يتعلق الأمر بضرب من التوازن يحفظ الذات بإلزامها ذاتها، كل هذا يدعو في نظر الدكتور عبد العزيز إلى أن لا نجعل سلوكنا مطابقة لقاعدة أو قانون ما، إنما لتغيير الذات لتصبح **ذاتا إيتيقية** بالنسبة لسلوكها، محددة لوجودها لا بالوعي إنما بعلاقتها بذاتها.

كما يمكن اعتبار **الإتيقا** تاريخ اختبار الذات، فقد عرض **العيادي** الفارق الجوهري بين الإتيقا والأخلاق في كتابة "**فلسفة الفعل**"، اعتبارا للأخلاق جملة من الأوامر المسلم بها في عصر، وفي مجتمع محددين، مع جهد الالتزام بهذه الأوامر والحث على إتباعها، وبين **الإيتوغرافيا***، أو **الايتولوجيا****. موضوعها سلوك الناس، والإتيقا التي هي العلم الذي موضوعه المباشر هو الأحكام التقديرية التي تميز جيد الفعل من سيئته[3].

ذلك أن الأخلاق جملة قواعد عملية مطبقة، مشروطة اجتماعيا، وتاريخيا، أما الإتيقا فهي علم الأخلاق تشريعا وتقويما، كما أنها نقطة اشتراك بين الأخلاق الفعلية.

---

[1]- عبد العزيز العيادي، **فلسفة الفعل**، مرجع سابق، ص 200.
[2]- عبد العزيز العيادي، **فلسفة الفعل من محاولات التأسيس إلى آفاق النقد**، مرجع سابق، ص431
* **الإيتوغرافيا "Ethographie":** ما يمكن أن يوازي في الفلسفة الأنغلو أمريكية ما يسمى بالمبياً-إيثيقا، وهو بحث يزعم أنه محايد آسولوجيا ، [عبد العزيز العيادي، **فلسفة الفعل**، ص43].
** **الإيتولوجيا "Ethologie":** موضوعها سلوك الناس بغض النظر عن الأحكام التقويمية التي يعبر بها الناس هذا السلوك، أو العلم الذي يدرس ويصف ولا يحكم، [أنظر: عبد العزيز العيادي، **فلسفة الفعل**، ص43].

[1]- عبد العزيز العيادي، **فلسفة الفعل**، نفس المرجع السابق، ص 43.

هذه القراءة للفعل تعني أن الذات ليس لها امتداد في الارتقاء إلى الفعل المبدع، فهي تعبر من خلال الفعل عن رغبتها إلزاما دون استناد إلى حكم أخلاقي مسبق، وتركيز الدكتور العيادي على الذات التفات إتيقي لا للاهتمام بالعزلة، إنما اعتبارا لها مسار تكويني، وتأكيد للحرية حيث يجد الإنسان بعض الأجوبة للمواقف التي تعترضه نتيجة تجربة واقعية تؤكد الكشف التدريجي للوجود.

يبدو هذا التعارض صراع بين مطالب الفرد خاصة بجملة ممكنات أو مثل لعقل يحدد ملمح السلوك ومشروع الفعل وطبيعة أهدافه.

**المبحث الثالث: فلسفة الفعل من الذات إلى التغيير:**

يميز **ريكور بول** في مؤلفة **الذات عينها كأخر** بين معينين، ومن خلال أبحاثه المتوالية في موضوع الذات، فوضع الفرق بين الذات التي أخذت معنى الهوية الذاتية، و الآن يعني الهوية المطابقة، فقدم تحديدا المعنى الذات التي اعتبرت صلب مشروع **ريكور** الفلسفي لأنها تعبر عن الوجود الإنساني، وباعتبارها معرفة عميقة تستدعي الفهم والفكر.

يكون مقتضى الكلام أن الذات هي التي تقوم بالوعي[1]، إذ أن الذهن أداة للذات، و الوعي وسيلة للذات، وعلى حد تعبير **بول ريكور** فالذات* هي ذلك الوجود الذي يحيلنا إلى التفلسف، والتأمل كونها تستدعي الفكر ما يميزها عن الغير أو الأخر.

أما عن العلاقة الديالكتيكية بين الهوية الذاتية، والغيرية الآخرية أساسية أكثر من الفصل بين التفكير والتحليل[2]، إذ أن تحديد الذات دراسة **أنتربولوجية** انطلقت في بادئ الأمر من إشكالية البحث في الوجود الإنساني، غير أن وجودها يكتمل بالفعل بوجود الأخر، فالذات لا ترى ذاتها إلا بوجود الأخر أو الغير.

أسس **بول ريكور** نظريته في الذات بإعادة الاعتبار **للكوجيتو** الديكارتي الذي أثبت الوجود، من خلال الفكر، فوجود الإنسان يعني إثبات ذاته، كون الإنسان ذات عاقلة تتميز بالحرية، والفكر، والحرية إنما هي حرية الذات في الاختيار، والقرار والمشيئة، فمفهوم الذات يحتل مكانا هاما في دراسة الحرية و الإنسان.

---

[1]- عزت فرني، **الذات ونظرية الفعل**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، (د.ط)، 2002، ص11.

* **الذات:** تستخدم على نحو مترادف مع شخص و لكن عادةً بتوكيد أكثر على البعد الداخلي السيكولوجي للشخصية بدلاً من البعد الخارجي، هكذا تعتبر موضوع وعي قادر على الفكر و الخبرة و التورط في فعل متعمد، [أنظر: تد هندرتش، **دليل إكسفورد**، ج2، ص 389].

[2]- بول ريكور، **الذات عينيها كأخر**، مصدر سابق، ص588.

لكن «موضوع الذات هو موضوع جديد بالاهتمام لذاته، وليس لمجرد سياق التأسيسات الأصولية للحرية، والفعل، والأخلاق، وغيرها أو المطالب هذا العصر الذي يشهد صراعا حاميا لابد أن تنتصر فيه ذاتنا ومشيئتنا نحن[1]».

يستخدم مصطلح الذات في إطار محاولة إقامة الأصوليات الإنسانية خاصة، يتصل بمفهوم الذهن، والذاتي ينتشر إلى الداخلي المقصور على الإنسان فالذات تدرك هويتها، ولا تشير إلى غيرها، «الذات كيان لا يدرك، وإنما عبر مظاهره ونتائجه، وأفعاله، تماما، كحال الذهن»[2]، إنها تعد بمثابة الكيان المركزي لأنشطة الفرد الإنساني الواعية، أو هي نشاط كامل، وهي قبل ذلك كيان خاص.

يحتاج الفرد لتدبر علاقته بذاته ليفهم تاريخه ويتمكن من بناء وتكوين مستقبله، يجعلها قادرة على استعمال العقل الذي هو ملكة التدبير، يمكنه بدوره من تحقيق أماله التي يصبو إليها، فسلطة العقل ضرورة هامة في المستوى الذاتي.

فالفلسفة معرفة تنطلق من الذات، وتهدف إلى فهم الذات، بمعنى أن الفلسفة معرفة تساعد الإنسان على فهم نفسه، وتعطيه الأدوات على أن يفكر فيها، ويطرح عليها الأسئلة بطريقة منتجة، وحين لا ينجز الإنسان مهمته مع نفسه، ويتعرف عليها فإن بقية المعارف تأتي في الدرجة الثانية[3]، ذلك يعني أن الإنسان يحقق ذاته كذات حرية تعج بالتفكير، انطلاق من الحرية كونها جوهره ومعناه الحقيقي.

كما أن تقدير **بول ريكور** للذات ينبني أساس على الأخلاق، فه يرى أن الحياة الحسنة للذات تنطلق من القدرة على تحقيق أهداف معينة، وأن تقديرنا لذواتنا يجعلنا نتحكم في خياراتنا، كما «تقدير الذات ينعكس

[1]- عزت فرني، **الذات ونظرية الفعل**، مرجع سابق، ص14.
[2]- المرجع نفسه، ص26.
[3]- عبد العزيز العيادي، **فلسفة الفعل من محاولات التأسيس إلى آفاق النقد**، مرجع سابق، ص407.

احتراما للأخر، ومن دون هذا الاحترام ليس هناك من تبادل ممكن مع هذا الأخر».[1] فلا يمكن لذات العيش وحدها بل بينيتها الثنائية الحوارية، فالحوار مبدؤها لاكتشاف الأخر، والتواصل وتبادل الاحترام.

يطرح ريكور مسألة التطابق، والتناسب، فيتساءل عن كون الإنسان متطابق مع ذاته، وهل هناك تناسب بين الذات والذات، وعن مشكلة اللاتناسب التي يبحث فيها الخطاب الفلسفي، وهي تعني الصراع الباطن في الأنا والشعور بين الوجود، والعدم، وبين الخير والشر ، فحسبه هذا الصراع لا يتحقق إلا بالتوسطية العقلانية.

إن فكرة اللاتناسب تبدو أنها مطلب أنطولوجية مباشرة للحقيقة الإنسانية، تطور مقولاته الخاصة في مضمون وأنطولوجية صوريه لشيء ما بالعموم، فمفهوم المحدودية بشكل عام ينتمي إلى مثل هذه الأنطولوجية الصورية، دون الانتقال من تعيين محدودية الشيء إلى محدودية الإنسان، بل يجب إضافة المقولات الخاصة بالحقيقة الإنسانية[2].

فالعلاقة اللاتناسبية تشكل المكان الأنطولوجي بين الوجود والعدم، وهذه العلاقة تصنع الحدودية الإنسانية، فذلك يكون من الوجود الذي هو تساؤل في وجود الإنسان كونه إثبات، ومن هذا «الإثبات يكون التقي الوجودي تقيا، فلا تقي يكون التصاقا بالكائن، إلا هذا، وهذا ليس تراجعا ما خارج الكائنية، ولكنه إظهار للفعل في منظور يتقيه».[3] وإذا تتبعنا مسار هذا التقي الوجودي من الخارج إلى الداخل، وهذا يبدو كفارق بين الأنا والأخر.

تعد الذات كيان أولي بسيط موحد ومتجانس، لذا عرض **ريكور** تحديدا لطبيعتها بشيء من التفصيل، فبدأ الإشارة إلى أخطار ينبغي أن توضع موضع الانتباه «أما الخطر الأول فهو التشيء، أي فهم الذات، فكأنها

[1]- بول ريكور، **الذات عينيها كأخر**، مصدر سابق، ص53.
[2]- بول ريكور، **فلسفة الإرادة الإنسان الخطاء**، تر: عدنان نجيب الدين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2008، ص201.
[3]- المصدر نفسه، ص205.

شيء، والثاني فهو خطر إنكار وجود الذات تماماً»[1]، فالتشيء يظهر على السواء في معتقدات العامة، وفي رفض أصحاب المذهب المادي، وذلك الحسي للقول بالذات لا شيء إلا أنها لا تحس، بينما القول بوجود الذات للفرد أمر لازم للفهم والتعامل اعتبارا للذات وعليه اهتم بول ريكور أيضا بمسألة الشر، فكان سؤاله من أين أتى فعلنا للشر؟.

تجربة الشر تجربة فردية، وهي في نفس الوقت جماعية لعجز الإنسان في مواجهة القوة الشيطانية للشر[2]، هذا الاعتبار دفع بفضول بول ريكور لمعرفة حقيقة الشر، لاقتناعه بالفعل الإنساني في الوجود، والشر هو تجسيد للفعل الإنساني، بفهمه الإنسان بواسطة الفعل والممارسة الناتجة عن وعيه وحريته، فمهما تجلت قدرة الفرد في التغيير الفعل فهو ضعيف أمام الواقع، مما يثبت أنه غير قادر على إحداث التناسب بينه وبين ذاته.

كما تشكّل الذات في الفكر، يتحول إلى ذات، «وما يشكل ذات الفكر إنّما هي مبادئ الطبيعة البشرية، وهي نوعان: مبادئ التداعي من جهة، ومن جهة أخرى مبادئ الانفعال، والذات هي الظاهرة النموذجية التي تسعى تحت تأثير مبدأ المنفعة، وراء هدف أو نية تنظم وسائل بهدف بلوغ غاية، وتحت تأثير التداعي نقيم علاقات لبن الأفكار»[3]، و إن لم تكن هذه العلاقات ميزة للأفكار خارجية تظهر بصورة أوضح في مشكلة الهوية.يبني **بول ريكور** "الذات عينها كآخر" على تمييز الذات، كما أكّد أنّ الإقرار هو مفتاح كتابه هذا، الذي هو عبارة عن سؤال **إيمانويل** ما هو الإنسان؟ و الانتقال من أنطولوجيا فلسفية، تبحث عن ماهية الوجود،

[1]- عزت فرني، **الذات ونظرية الفعل**، مرجع سابق، ص34.
[2]- بول ريكور، **فلسفة الإرادة**، مصدر سابق، ص230.
[3]- جيل دولوز، **التجريبية و الذاتية**، تح: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ-1999م، ص 157.

وصولاً إلى الهوية الذاتية التي تخرج منها الأنا، وعلى حدّ تعبيره أنّ الذات «كانت تتميز بالقدرة على التكلّم و مخاطبة الآخر»[1]، و الآخر هنا مع الغير الذي يمثل الإشارات و الرموز التي تأتي إلى الذات الفاعلة.

إضافة إلى ذلك «فالهوية الذاتية "Identité – Ipse" تحرك دياليتيكيًا إضافيًا للذاتية و العينية، و هو ديالكتيك الذات والآخر عبر الذات»[2].

خلاصة القول أنّ الفعل هو الوجه الموضوعي الذي يكشف عن مقاصد الذات الفاعلة، و من حيث دلالته على الفاعل، أي الذات صاحبة الفعل نفسها، ففي نظر **بول ريكور** أنّ: «الذات لا تظهر إلاّ من خلال أفعالها»[3]، و محصّلة هذا كلّه لأنّ الفعل وحده دليلنا إلى معرفة موقف الذات من الآخر، كونه أداة اتصال فالأفعال معظمها موجهة إلى الآخرين، فدلالة الفعل على علاقة الذات بالعالم «لأنّ الفعل هو إعادة تنظيم للبيئة»[4]، و ذلك "العالم الخاص" قد يكون النوع البشري ككل، أو المجتمع. و مهما يكن من اعتبارات لأولوية تقدير الذات، فإنّ الأخلاق أو الأفعال الأخلاقية تستهدف رسم حياة جديدة و خيّرة، و هذا مطلّب كلّ إنسان ويحدث هذا بالتفاعل بين الذات والآخر و الاندماج، و تلك السمة أخلاقية تؤدّي إلى العيش مع انفتاح الذات مع الذوات الأخرى في إطار أخلاقي محض، تعتبر فيه المسؤولية للذات اتّجاه الآخر، هنا يتّفق بول **ريكور** مع **ليفيناس*** حول أخلاقيات التأسيس للعلاقة بين الذات و الآخر، ذلك أنّه في الصيرورة الاجتماعية، و التاريخية يتبدى الوجود نتاجًا للفعل الإنساني، و يبتدي الفعل عنصرًا هامًا في تغيير الوجود.

---

[1]- بول ريكور، **الذات عينها كآخر**، مصدر سابق، ص 56.
[2]- المصدر نفسه، ص 72.
[3]- عزت قرني، **الذات ونظرية الفعل**، مرجع سابق، ص 249.
[4]- المرجع نفسه، ص 250.
* **ليفيناس إيمانويل "Levinas Emmaniel":** (1906-1995) فيلسوف فرنسي من أصل ليتواني، درس في جامعة فرايبورغ، حيث كان يعلم إدمومنهوسرل و مارتن عايدغر، عرض جوهر مذهب معلمه في نظرية الحدس في فينومونولجيا هرسرل سنة 1930، [أنظر: جورج طرابيشي، **المعجم الفلسفي**، ص 583].

**المبحث الرابع: أخلاق الفعل بين الإرادة و الاغتراب و المقاومة**

إنّ الفعل الإنساني غالبًا يعترف به العقل وحده مستقلاً عن الميول، و النوزاع. كما قد تكون طبيعة خيرية خلقية، و في هذه الحالة ينبع من خيرية الإرادة دون تمظهر العقل، أي أنّ الإرادة هي ملكة اختيار ذلك الفعل، وقد تعرّض لهذا الموقف كما رأينا سابقًا **كانط**، فالشخص الكانطي عقلاني أفعاله إرادية خاضعة للقوانين الأخلاقية.

كما ناقش **بول ريكور** أطروحته عن **فينومولوجيا*** الإرادة، فتساءل عن معنى أن يكون الإنسان خطأ، وبحث في مسألة الخير، و الشر، و أصل الأفعال السيّئة إن كانت نابعة من إرادته، و هكذا «فإنّ الفكرة الأساسية لأسطورية الإرادة السيئة تتوسع لتشمل أبعاد رمزية الشر»[1].

فحسب **ريكور** أنّ أفعال الإنسان مهما كانت طبيعتها، فهو مسؤول بإرادته لأنّه اختارها بمحض ذاته، كما يسيّر فريدريك على هذا النهج، فحسب رأيه: «ليست هناك أفعال أخلاقية في حدّ ذاتها، إنّما هناك تفسير للأفعال الإنسانية، و تقويم لها حسب طبيعة الفاعل المقوم، و ما تطمح إليه هذه الطبيعة من حب للسيطرة، وإرادة القوة»[2]. فالإرادة مبدأ أساسي لصدور الأفعال مهما كانت طبيعتها لأنّ الإنسان يتميز بحريته و إرادته للأخلاق معايير أهمّها ما يسوقنا إلى القيام بفعل من الوجهة الخلقية، فبهذا نستطيع التمييز بين الفعل الصحيح، والفعل الخاطئ، فالأحكام الأخلاقية تخضع لتأثيرات عبر العلاقات الاجتماعية و إنّما هي موقف الشخص وواجبه الأخلاقي، بإكمال أفعاله الفكرية، فقد يكون الإنسان مائل إلى الشرّ، فيعتبر محدود النهاية.

* **الفينومينولوجيا:** إحدى أهمّ الحركات الفلسفية في القرن العشرين، أسّسها إدموند هوسرل في بداية القرن، تقرّ أنّ معرفتنا بالأشياء تنقسم إلى مباشرة و غير مباشرة، [أنظر: صفاء عبد السلام جعفر، **قراءة للمصطلح الفلسفي**، ص 83].

[1]- بول ريكور، **فلسفة الإرادة**، مصدر سابق، ص 15.

[2]- جمال مفرج، **الإرادة و التأويل: تغلغل النيتشوية في الفكر العربي**، مرجع سابق، ص 101.

يُجيب فلاسفة الفعل بأنّ نمط التفكير هذا قد يكون مقبولاً إذا لم يكن الإنسان إلاّ عقل تحل فيه التصوّرات محل العلاقات بين الأشياء[1]، وهنا الإنسان ليس عقلاً بل هو فعل ونشاط مستمر، و هذا من شروط الفعل الإنساني البحث، أو بالأحرى هذا الفعل بوجه خاص هو فعل الإرادة، والفعل الكامل هو ما تتجلّى فيه المساواة مع الإرادة، إذ يكشف الفعل للإنسان أولية في ذاته، حسب المسلمة القائلة «اعمل على نحو أن نستطيع كذلك إرادة أن يصبح مبدأ عملك قانونيًا»[2]، و هذا يعني لأنّ الفعل لا يصدر عن إرادة تأمر فحسب بل عن إرادة ذات خيرة تسلم بالقواعد الأخلاقية المرتكزة عليها حياة الفرد و التي هي مبدأ أساسي في تكوين أخلاقيته.

أمّا من حيث تقويم الفعل و الحكم عليه، فهو حركة أو جهد يصرفه الإنسان ليحدث تغييرًا في تقدّم الوجود، إذ يمكن اعتباره وفقًا لما ذهب إليه **ريكور** «حاضرًا **فينومولوجيا** بشكل ممرًا، و مصدرًا أو أصلاً للماضي والمستقبل، للذاكرة العمالة للأسف، و الندم، و جميل الذكر و التهجس و الانتظار، فمركزية الحاضر تتمثل في أنّه أصل الانتظار، و معبر للذاكرة»[3]، لذلك ينجد العقل أصبح منتميًا إلى حتمية الواقع، فلا يتخلّى عن ذاته، ولا عن العالم الذي صنع فيه ذات، وإرادته، «والإرادة كمبدأ فعالية ليست هي غياب العوائق بل هي نفي حاد للعوائق فلا هي جاهزة ساكنة، و لا هي طريق ممهدة بالتمام بل هي اختيار فاعل»[4].

الناتج عن هذا الاختيار للأفعال هو صد لمواجهة نتائج التصرف الإرادي من اغترابات، و مقاومات، إذ الاختيار الذاتي هو عقدة تجسد الفعل الإرادي، فإن كانت الإنسانية هي حصيلة أفعالها فإنّ تطورها يمرّ حتمًا بتطور أفرادها على مستوى خصوصية أفعالهم.

---

[1]- إميل بوترو، **العلم الدين في الفلسفة المعاصرة**، تر: احمد فؤاد الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1973، ص 225.
[2]- جاكليسن روس، المرجع السابق، ص 82.
[3]- عبد العزيز العيادي، **فلسفة الفعل**، مرجع سابق، ص 36.
[4]- المرجع نفسه، ص 123.

يكشف لنا الفعل خلفية العالم إذ يجدّد باستمرار نبع الفكر و الحرية في الحياة، و بقدرته على نسيج العلاقات الإنسانية، فهو إبداعي يؤكّد ذات الإنسان، كما أنّ هناك نمطية أخرى من الأفعال تحمل **الاغتراب*** سواء كان الفعل أخلاقيًا أم اجتماعيًا، فيصبح الفعل غريبًا عن الفاعل.

**فالفعل المغترب** هو الفعل الزائف الذي يرتدّ إلى مجرد توسط بين الطبيعة، و الطبيعة تعني مجرد محافظة على الحياة بتحويل الطبيعة الخارجية التي لا ننال منها إلاّ ما نلبي به احتياجاتنا الطبيعية مع فقدان الفاعل القيمة الإبداعية لفعله[1]. يعني أنّ الأفعال هنا تفقد قيمتها الخلقية، إذ يصبح مقصدها دنيوي أساسه توفير لقمة العيش، و من أجل الوجود، فيظلّ الفعل مغتربًا يعبّر عن الوجود العيني مقصودًا بأهدافه، و من جهة أخرى يبحث عن إدراك مساهمة الأشياء في الذات، يتضمّن الإنشاء و الصنع الذي ينتج عنه أثر هو فعل إنساني يؤثر على فاعليه، و في العالم بصفة عامة.

نظرًا لتنوّع مقاصد الفعل و دلالته، فهو أشدّ ارتباطًا بالوضع البشري، و السلوك الإنساني، فإن كان زمن الفعل هو الحاضر فإنّه مبادرة تحدث تغييرًا في العالم «و لعلّه بالإمكان الإشارة مع **بول ريكور** إلى أربعة خصائص للفعل كمبادرة»[2]، نوجزها في الجدول التالي:

| الرقم | الخاصية | مميزاتها |
|---|---|---|
| 01 | خاصية الاستطاعة | الإيضاح الوسيط |
| 02 | خاصية دلالية الفعل | دراسة الشبكة المفهومية التي ينخرط فيها الفعل الإنساني (المشاريع و المقاصد و البواعث) |
| 03 | خاصية التدخل | المبادرة (الربط بين القدرة على الفعل التي يدركها الفاعل) |
| 04 | الخاصية الإيتيقية | المسؤولية (الفعل محكوم بقواعد) |

* **الاغتراب "Aliénation":** يعني حالة انفصال و استيلاب، و هو إحساس الإنسان بأنّه ليس في بيته وموطنه أو مكانه.
و في الفلسفة: يعني غربة الإنسان عن جوهره و تنزله عن المقام الذي ينبغي أن يكون فيه، أو عدم التوافق بين الماهية و الوجود [أنظر: مصطفى حسيبة، **المعجم الفلسفي**، ص 75].

[1]- عبد العزيز العيادي، **فلسفة الفعل**، مرجع سابق، ص 39.

[2]- المرجع نفسه، ص 42.

يعني **ريكور** بخاصية الاستطاعة، القيام بالفعل حسب القدرة (قدرة الفاعل)، و التدخل أي رسم الفعل و تنزيله مسار التطابق، حيث يتطابق الحاضر مع الآن، و الذات الفاعلية مع الفعل.

أمّا دلالية الفعل كونه بدء و مبادرته، ذو مشاريع و مقاصد، و مفاعيل إرادية و لا إرادية، له أسبابه، ورابطة تربط بينه وبين السببية، وهذا ما يحدث في خاصية التدخل، و التحدث عن المبادرة حديث عن ضرورة المسؤولية أو قواعد الفعل **الإيتيقية**.

ينتج عن كلّ هذا أنّ فعل الإرادة، ذاته يحتاج إلى غاية و قدرة يعرض فيها ذاته، و هذا ما يدعي مقاومة الفعل مثلها تحدّث **ريكور** عندما تعرض لخصائص أو مميزات الفعل، الاستطاعة و القدرة و المسؤولية كلّها تندرج ضمن إطار الحدث أو الفعل، «فمن جهة **إيتيقية** ليست مسؤولية صورية، كما ليست مجرد مسؤولية حقوقية على ما تمّ من أفعال وحسب، و إنّما هي كذلك مسؤولية إزاء المستقبل، أي إزاء ما نقوم به من أفعال»[1].

و إن كانت الأفعال لا تتوقف على الإرادة وحدها، ففعل الإرادة يحتاج إلى الوعي، و المقاومة، «فكون الفرد مسؤولاً عن أفعاله لأنّه يعلم ما يحتوي الفعل من دوافع، و بواعث، و مقاصد واعية، إرادية و غير إرادية، ضرورة و عرضية»[2].

و ذلك يتطلّب أن يكون الفرد مستقلاً لا مجرد استقلالية محمول من محمولات العقل غير المحدّدة، لأنّ استقلاليته التامة تمكّنه من التمييز بين الأفعال و تقويمها.

[1]- عبد العزيز العيادي، **فلسفة الفعل**، مرجع سابق، ص 45.
[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

# الفصل الثالث:
# بول ريكور و إيتيقا الفعل

المبحث الأول: بول ريكور (السيرة الذاتية و الإسهامات الفلسفية)

المبحث الثاني: بول ريكور بين تأويلية النص و هير مونيطيقا الفعل

المبحث الثالث: قراءته في أخلاق الفعل التطبيقية عند بول ريكور

المبحث الرابع: ما بعد بول ريكور تجلّيات نظريات الفعل

**المبحث الأول: بول ريكور (السيرة الذاتية و الإسهامات الفلسفية)**

استهل الدكتور **جورج زياتي** من خلال ترجمته لكتاب "**الذات عينها كآخر**" مقدمته بالحديث عن التقائه بالفيلسوف **بول ريكور** لأول مرة في باريس سنة 1960، حيث كان أستاذا شابا في السوريون، و المرة الأخيرة كانت سنة 2002 في تونس، ليعرض بعد ذلك حياته.

**1/- حياة بول ريكور و مؤلفاته 1913-2005**

تبدأ حياته بمأساة مزدوجة، فقد ولد في السابع و العشرون من شهر فبراير سنة **1913** في مدينة فالنس الفرنسية، في عائلة بروتستينية كان الوليد الثاني بعد أخت، توفيت والدته و ترك والده مهنة التدريس للغة الانجليزية ليلتحق بالجبهة، فقتل هناك سنة **1915**[1].

فيلسوف فرنسي، يمثل في الفلسفة الفرنسية المعاصرة محاولة أصلية تستلهم الوجودية و **الفينومولوجيا**، و تريد بالإضافة إلى تيارات الشيوعية والعقلانية، أن تحصر نفسها بمسالة التأويل، أو توضيح الحواس أي النظر في الموجود من خلال تحليل الفعل الإرادي، و ذلك هو منحى كتابه الأول الإرادي و اللاإرادي (**1950**) الذي وصف فيه إيجابية الإنسان و سلبيته إزاء العالم، و استكمل دراسته هذه الجدلية في التنامي و الإثم سنة **1960**[2].

أبدى بول **ريكور** منذ حياته العلمية الأولى ميلا شديدا للمطالعة، و قد اهتم بالفلسفة التي درسها بجامعة السوريون، في هذه الأثناء صار يتابع الحلقات الفكرية التي كان يعقدها **غابريال مارسيل** أب الوجودية، أيضا بدأ تعلم الألمانية و اطلع على كتابات فلاسفتها الذين كان لهم الأثر البالغ في مسيرته الفلسفية.

[1]- بول ريكور، **الذات عينها كآخر**، مصدر سابق، ص09.
[2]- جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة**، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص338.

سنة **1939** كان ضابطا في الاحتياط، ألقي عليه القبض من **أرنسقالت arnswalde**، حيث كان سجينا، ترجم في سرية تامة كتاب "أفكار" "**هوسرل**" كان هذا أول عمل فكري يقوم به الشاب **ريكور** وهو الترجمة.[1]

ينزع **بول ريكور** في مؤلفاته التالية:

- في التأويل، محاولة في فكر فرويد **1965**.
- تنازع التأويلات **1969**.
- الاستعارة الحية **1975**.
- الزمان و السرد **1983**.

إلى إنشاء فلسفة في اللغة تقدم المعنى على الشيء[2].

كما نشر من خلال مسيرته الفلسفية كتب عدة أهمها **فلسفة الإرادة** سنة **1950**، و الذات عينها كآخر، الذاكرة و التاريخ و النسيان، من النص إلى الفعل.

[1]- بول ريكور، **عن الترجمة**، تر: حسين خمري، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ-2008م، ص07.
[2]- جورج طرابيشي، **المعجم الفلسفي**، مرجع سابق، ص 138.

## 2/- موقع بول ريكور الفلسفي:

تبدو حياة **بول ريكور** مزيجا من المأساة العميقة و من فعل إيمان متشبث بطلب السعادة و عيشها، و لا يخرج مصنفه العظيم عن هذه المقاومة الحادة، فهو خطاب عن شقاء الإنسان في تاريخه العنيف و حلمه بالوصول إلى ذاكرو عادلة تكون بمثابة تتويج لنهاية سعيدة[1].

كما عرفت فلسفة **بول ريكور** بانفتاحها على حقول معرفية جمة من حيث الوجودية، والظاهراتية، والهرمينوسيا، واللسانيات و السيمائيات و التاريخ و الأنتربولوجيا و البنيوية، و الفلسفة التحليلية، و فلسفة اللغة، و فلسفة الدين و الأسطورة.

كما أن أعماله و محاضراته تظل حافظ لأفكار فلاسفة مثل أفلاطون، و أرسطو، و أوغسطين، و هيجل وهايدغر، و شليمخر و غيرهم[2]، إنها فلسفة فرنسية أمريكية تمحي عندها الحدود و العصور لتحاول اللحاق بالفلسفة الإغريقية، و الألمانية، و الإنجليزية.

[1]- بول ريكور، **الذاكرة، التاريخ، النسيان**، تر: جورج زياتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص5.

[2]- مجموعة من الأكاديميين العرب، **الفلسفة الغربية المعاصرة** ج2، تقديم: علي حر، دار الأمان، الرباط، ط1، 1434هـ/ 2013م، ص 2075.

**المبحث الثاني: بول ريكور بين تأويلية النص و هيرمونيطيقا الفعل**

لجأ أغلب الفلاسفة إلى دراسة التأويل من أجل فهم الغموض المتجلي عبر مراحل الوجود الإنساني، إذ يشكل الفهم بالدرجة الأولى أزمة عانت منها الفلسفة خاصة و العلوم الإنسانية عامة، فأصبح منعرجا للتساؤلات والأبحاث، و لجت هذه الأخيرة فكر **بول ريكور** فانشغل بموضوع التأويلية و**الهيرمومنطيقا*** التي تشكلت قبل ظاهرية **هوسرل**، فطرح مشكل التأويل أولا في حدود النص، و التأويل عند ريكور يفك كل لغز لغوي، كما يقصد بالنص ذلك الوسيط بين الذات و الآخر ففي كتابه صراع التأويلات توضيح **للهيرمونطيقا** الفلسفية.

بيد أن دلاليات التعابير المتعددة المعنى لا تكفي لنعت الهيرمونيطيقا بالفلسفة، و كذلك فإن التحليل اللساني إذ يعالج المعاني بوصفها مجموعة مغلقة على ذاتها فإنه يرفع اللغة لا محالة إلى المطلق[1]، يريد أن يجعل من هدف التأويل توسيع لفهم الذات عبر فهم الآخر، و العلاقة بين الذات و الآخر بعد إنساني، فالقيمة الأخلاقية الكبرى تتجلى في الفهم و الوعي المنبثق من الخطاب اللغوي و الخطاب هو الواقعة اللغوية، هو الكلام، نقطة الضعف المعرفية للغة[2].

* هيرمونيطيقا "Hermenenties" هي التعبير الإنجليزي للكلمة اليونانية الكلاسيكية "Hermeneus" (هرمس)، و تعني المفسر أو الشارح يتعلق بالتفسير و الترجمة خاصة ماله علاقة بتفسير النصوص المقدسة. [ديفيد جاسير، **مقدمة في الهرمونيطيقا**، ص21].

1- بول ريكور، **صراع التأويلات**، تر: منذر عياشى، مر: جورج زيتاني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 48.

2- بول ريكور، **نظرية التأويل**، مصدر سابق، ص12.

ميز فكر **بول ريكور** إيجابيته المنطلقة من تأمل العلاقة بين النص و الفعل، فتمحورت أسئلته حول تبسيط أو شرح و فهم النصوص فامتدت جذور فكره بدءا من حقل التأويل الذي حاول كل من **دالتاي*** و **شيلمخر**** إحداث مطابقة بينه و بين الفهم، فلم يكن سوى نقلا أو حوار بين المتكلم و الكاتب في النصوص المكتوبة.

و التأويل عند ريكور يتجاوز حدود المنظور الميتودولوجي، و هذا هو الفرق بين الكلمتين **Herméneutique** و **Interprétation** إذ تعني الأولى منهما الجهد العقلي الذي تقوم به في إرجاع معنى ظاهر و مجازي إلى معنى باطن حقيقي في حين أن الثانية ذات حمولة فلسفية بها أنها تهدف إلى الإمساك بالكائن من خلال تأويل تعبيرات جهده من أجل الوجود[1].

أما مشروع **بول ريكور** أن يحتفظ بتأويلية، و يحافظ على بعديها معا، البعد الذاتي من حيث الوظيفة الإنسانية، والموضوعي في وظيفة الهوية، وفي رأيه أن ذلك لا يتحقق إلا من خلال فلسفة في الخطاب تحرر التأويلية من أهوائها النفسية و الوجودية[2]، يقصد بالبعد الذاتي تحليل الوجود الإنساني، و فهمه، فالفهم هو التبيين الذي يهيئ لنا التواصل والفهم أيضا إصغاء يتعلق هذا النوع بالجانب الموضوعي مما فيه تفسير و شرح النصوص، وعلى حد تعبير بول ريكور «تتداخل الذات و الموضوع بالتناوب»[3] حيث تساهم الذات نفسها في معرفة الموضوع، و يتضح بالمقابل في تنظيمه الأكثر ذاتية، في نظرته الموضوع للذات، حتى قبل أن تشرع هذه الأخيرة في المعرفة، و لا يمكن لحلقة الهيرموتيطيقا أن تتجلى عنها في مصطلح الذات الموضوع.

---

* **دلتاي (1833- 1911):** فيلسوف ألماني طور علم التأويل و بسط تطبيق نهج كانط على العلوم الثقافية [تد هندرتس، **دليل كسفورد للفلسفة**، ج1، ص 348].

** **شليمخر Shleimacher (1768-1834)**: لاهوتي بروتستانتي و فيلسوف ألماني، آراؤه مزيج من أفكار اسبينوزا و كانط و نتشه و غيرهم، أهم مؤلفاته تحديث في الدين، حوار داخلي 1810.

[1]- حسن بن حسن، **النظرية التأويلية عند ريكور**، دار تيمنل للطباعة و النشر، مراكش، المغرب، ط1، 1992، ص15.

[2]- بول ريكور، **نظرية التأويل**، مصدر سابق، ص15.

[3]- بول ريكور، **من النص إلى الفعل**، مصدر سابق، ص71.

يشكل الفهم الإنساني صورته يمكن للعقل الإنساني إدراكها، مما يعني أن الصور المختلفة للكلمة تستدعي تحويل الشيء من خارج نطاق الفهم إلى مجال الفهم، فلما كانت الهيرموتيطيقا دراسة للفهم، و بخاصة فهم النصوص حيث تقدم وصفا تاريخيا و إنسانيا لأنماط الفهم[1].

فالمفسر لنص يفهمه من خلال المسبق لموضوعه إذ التفسير والفهم من الحالات الأساسية للوجود الإنساني، ولم يعد الفهم دراسات للحالات الواعية و غير واعية بقدر ما هو كشف عن ما هو عيني في الإنسان.

فإن مفهوم التأويل يتلقى هو أيضا قبولا محددا تتبعه **ريكور بول** بالرمز، و يوضح مفهومه للتأويل فيقول: «نحن نقوا أن التأويل هو عمل الفكر الذي يتكون من كل المعنى المختبئ في المعنى الظاهر، و يقوم على نشر مستويات المعنى المنضوية في المعنى الحرفي، و إني إذ أقول هذا، فإني أحتفظ بالمرجع البدئي للتفسير، أي التأويل المعاني المحتجبة»[2].

فالتأويل والرمز تصورين مترابطين، إذ يرتبط التأويل بتعدد المعاني أما الرمز فتعبيراته مهمة التحليل اللساني، إذ لا توجد رمزية قبل الإنسان الذي يتكلم.

استخدم **ريكور** التأويل كوسيلة لاستخراج البنى اللغوية والرمزية التي تدل على حقيقة الوجود على اعتبار أن اللغة نظام من العلامات والرموز تدرس بانتقام لغوي يكيف لنا نوعا خاصا من الفهم كما تؤدي بدورها إلى إحداث تماسك نحوي في النص.

---

[1]- صفاء عبد السلام علي جعفر، **هيرمونيطيقا الأصل في العمل الفني**، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، (دط)، 2003، ص25، نقلا عن ibid.p8

[2]- بول ريكور، **صراع التأويلات**، مصدر سابق، ص 44.

ففي الحالة الأولى تتعامل مع النص ككلية لا عالم لها، و في الثانية نخلق مرجعية معلنة جديدة بفضل نوع التنفيذ الذي ينطوي عليه في القراءة[1]، فالنص وسيط نفهم عبره أنفسنا، و القارئ يوجه خطابه لشخص ما قصد الكشف عن مضمونه و فهم بنيته و مرجعيته.

و حسب **ريكور** لا يمكننا تجاوز الصعوبات و الإجراءات إلا بوضع رؤية جديدة لعلاقة النص، و العمل الفكري بذاتية المؤلف، و كذا بتحويل اهتمامنا من البحث عن المقصود و الذوات المتخفية في النص نحو المعنى و المرجع، أو العالم الذي يفتحنا عليه النص[2]. إذ يمكن القول أن هناك علاقة معقدة بين المؤلف و النص، فالنص هو المكان الذي يأتي إليه النص فيقوم بدوره بالشرح، و الفهم.

كما اقترح فكرة التقارب بين النظرية النص و نظرية الفعل، حيث نظرية النص نموذج جديد بخصوص الفعل البشري، تشتركان في الخضوع لجدل الفهم و الشرح، يتجلى هذا الارتباط الوثيق فيما يراه **بول ريكور** «أن مرجع بعض النصوص إن لم تكن كلها هو الفعل نفسه، الأمر صحيح بالنسبة للمحكي على أية حال»[3]، ومثال ذلك ملاحظة أن أسطورته **التراجيديا*** هي المحاكاة الخلاقة للفعل البشري كأثر مفتوح للقراءة التي تعد جزءا لا ينفصل عن بنية النص كما يظهر التفاعل بين بنية النص و متلقيه.

فالشيء الأساسي في قراءة كل عمل أدبي هو التفاعل بين بنيته، و متلقيه لهذا السبب نبهت نظرية **الفيتومولوجيا** بإلحاح إلى أن دراسة العمل الأدبي يجب أن تهتم ليس فقط بالنص الفعلي، بل كذلك و بنفس الدرجة بالأفعال

---

[1]- بول ريكور، **من النص إلى الفعل**، مصدر سابق، ص108

[2]- حسن بن حسن، **النظريات التأويلية عند ريكور**، مرجع سابق، ص33

[3]- بول ريكور، **من النص إلى الفعل**، نفس مصدر سابق، ص 135.

* **التراجيديا:** التفكر الفلسفي في الدراما التراجيدية يقدم التراجيديا نفسها، لقد وجد أفلاطون التراجيديا من قصة للفلسفة كونها تغذى جزءا لا عقلانيا من النفس يستمتع بتوكيد الانفعالات الضيقة، [ تد هندرتش، **دليل أكسفورد**، ج1، ص 199].

المرتبطة بالتجاوب مع ذلك النص[1]. فالنص بدوره يحدث الإنتاج الفعلي مع تقديم موضوع جمالي و الموقع الفعلي للعمل يقع بين النص و القارئ نتيجة التفاعل بينهما.

يمثل النص نموذجا إرشاديا جيدا للفعل الإنساني، و الفعل الإنساني مرجع جيد للنص، فالفعل يمكن فهمه كنص إذ بانفصاله عن فاعله يكتسب استقلاليته الدلالية للنص، مما يستدعي تأويل الرموز لتفسيره الذي عرفت به الهيرمونيطيقا، إلا أن **بول ريكور يقول**: «يظهر لي اليوم أن ذلك التعريف للهيرمونيطيقا بتأويل الرموز، هو تحديد ضيق، وذلك لسببين سيقوداننا من الوساطة بالرموز إلى الوساطة بالنصوص»[2]، فما يراه أن الهيرمونيطيقا ترمي إلى إزالة الوهم عن الرمزية والوساطة بالنصوص محدودة على خلاف الوساطة بالرموز، والعلامات كما تعد الهيرمونيطيقا تطابق بين عبقرية القارئ و عبقرية الكاتب.

فالرمزية لا تعمل إلا حين يتم تأويل بنيتها، و لابد في كل فعل لغوي من رمزية في حدها الأدنى[3]، ففي رأي بول ريكور يتحول النص إلى حضور كلي للمعنى يستقبل قراءة مجهولين، و يتحاور معهم إذ ينقل النص للقارئ تجربة وجود ذاته، وشكل تفاعله مع العالم.

تنتهي الهيرمونيطيقا في فهم الذات، كما تعد أولوية الذاتية القارئة على النص، ذلك أن فهم الذات يتم أمام النص، و بعد أن تخلصت الهيرمونيطيقا من أولوية الذاتية أصبحت مهمتها في نظر بول ريكور البحث داخل النص نفسه.

[1]- فولفغانغ إيزر، **فعل القراءة**، تر: د. حميد لحمداني، جيلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، (د.ط.ت)، ص 12.
[2]- بول ريكور، **من النص إلى الفعل**، مصدر سابق، ص23
[3]- بول ريكور، **نظرية التأويل**، مصدر سابق، ص16.

تكشف من جهة عن الدينامية الداخلية الكامنة وراء تبيين العمل الأدبي، و من جهة ثانية البحث عن قدرة هذا العمل على أن يقذف نفسه خارج ذاته و يولد عالما يكون فعلا هو الشيء النص اللامحدود[1]، فالدينامية الداخلية، و الإنقذاف الخارجي يكوّنان ما يسميه ريكور عمل النص المزدوج الذي تشيده الهيرمونيطيقا.

تستطيع الذات استرجاع ذاتها بوصفها نتيجة من نتائج التأويل إذ يعتقد بول ريكور أن ذلك يعود لسببين:

**السبب الأول**: أن **الكوجيتو الديكارتي** الشهير الذي يمكن الوقوف عليه إنما يمثل حقيقة باطلة بمقدار ما هي لا تقهر[2]، وبهذا المعنى فالذات تمثل في الوقت نفسه وضع الكائن ووضع الفعل، كما تمثل موضوع الوجود وعملية التفكير.

**السبب الثاني**: الأنا ليست وحدها التي لا تستطيع أن تمتلك نفسها إلا تعبيرات الحياة التي تجعلها موضوعية، ولكن تفسير نص الوعي يصطدم أيضا بالتأويلات السببية الأولى للوعي الزائف[3]، حاول بول ريكور وضع مكان للمعني الملتبسة إلى جانب الأحادية، فالتباس المعاني لا يبرره المستوى الدلالي وحده، و إشكالية التفكير وحدها تبرر دلاليات المعنى، كما تبقى الفلسفة الهيرمونيطيقية قراءة للمعاني المحتجبة في نص معنى الظاهر.

[1]- بول ريكور، **من النص إلى الفعل**، مصدر سابق، ص61.
[2]- بول ريكور، **صراع التأويلات**، مصدر سابق، ص49.
[3]- المصدر نفسه، ص50.

كذلك إذا كان الهيرمونيطيقا تعد استئناف الفكر المعنى المعلق في الرمزية، فإنها لا تستطيع أن تلتقي عمل **الأنتربولوجيا*** و **البنيوية**** إلا بوصفها دعما[1]، إذ توسع الهيرمونيطيقا مجال فهم، النص لأنها محاولة لفك الرموز، أداتها التفسير، فإذا كانت مهمة الهيرمونيطيقا الأولى كشف المعاني المسترة داخل النص و البحث فيه، فإن فهم الذات الأصلية هو ذلك الفهم الذي يلتقي معلومات النص اللامحدود.

ينعطف بول ريكور في مؤلفته "**من النص إلى الفعل**" من الحديث عن تأويلية النصوص، إلى تبيان هيرمونيطيقا الفعل من خلال مرضه لنظرية الفعل، و نظرية النص، و نظرية التاريخ، فأقر بأن نظرية الفعل تتوسط الأمرين. فمارس بول ريكور التأويل، و التفسير و الفهم ضمن تجربة هيرمونيطيقية متعددة الأبعاد و عميقة الدلالات، وتجمع بين الأفعال و النصوص في حركة دائرية بين الأحداث و الأشخاص[2]، ففي حقل نظرية الفعل صادق موضوع قانون الفعل، و السلوكات الخاضعة له، دراسة إشكالية أخرى إشكالية الفعل الحصين، إذ يمكن للنص أن ينظر إليه كحقل تجربة للفعل، و إلى الفعل كميدان للقراءة التأويلية النصية.

الفعل البشري شبيه بالنص من مناحي عدة، فهو يجسد بطريقة قابلة للمقاربة مع التثبيت الخاص بالكتابة[3] ، هنا يقترح بول ريكور فكرة التقارب بين الفعل و النص، باعتبار الفعل مرجع جيد للنص، و من جهة أخرى فالنص نموذج للفعل البشري، فالترابط بين النص، و الفعل يشكل حلقة هيرمونيطيقية أداتها الشرح و التفسير.

---

* أنتبولوجيا "Anthropologie": دراسة الجماعات البشرية الفطرية أو التي لا تزال أقرب إلى القطرة، من حيث كونها كائنات حية ذات عقل و ثقافة الفلسفية، بحث فلسفي يعني بالمسائل المتصلة بالإنسان، [إبراهيم مذكور، **المعجم الفلسفي**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الإمبيرية، القاهرة، مصر، 1403هـ/ 1973م، ص24].

** البنيوية "Structurelization": منهج فكري نقدي مادي ملحد غامض يذهب إلى أن كل ظاهرة إنسانية كانت أو أدبية تشكل بنية لا يمكن دراستها إلا بعد تحليلها غلى عناصرها المؤلفة منها و يتم ذلك دون تدخل فكر المحلل أو عقيدته الخاصة، [مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، ص116].

[1]- بول ريكور، **صراع التأويلات**، مصدر سابق، ص63.

[2]- عبد العزيز العيادي، **فلسفة الفعل من محاولات التأسيس إلى أفاق النقد**، مرجع سابق، ص222.

[3]- بول ريكور، **من النص إلى الفعل**، مصدر سابق، ص134

**المبحث الثالث: قراءته في أخلاق الفعل التطبيقية عند بول ريكور**

بحكم دراسة **بول ريكور** الأخلاقية المعمقة في الفعل الإنساني، و التي انطلقت من الذات، و الأفعال والسلوكات الصادرة عنها ليدرس علم الأخلاق تستعمل في الجانب التطبيقي للحياة، إذ تعطي الأولوية للفعل وتحقيق الذات أخلاقيا، لإنتاج سلوك توجهه أخلاق جديدة تقوم على الممارسة و السعي من أجل تحقيق حياة خيرة.

لذا يقدم لنا **ريكور** فلسفة متنوعة حول الأخلاق في بعدها التطبيقي فالعمل و التطبيق هو مركز الفعل الفلسفي وماهيته الأولى، فقبل أن نخوض في إشكاليات الأخلاق التطبيقية لا بد من تحديد مفهوم **الإيتيقا** والتي هي أيضا «جملة من المبادئ العامة التي تقود الفعل الإنساني، و التي قبولها تم و العمل بها من قبل جميع، تحكم ممارسة الناس داخل مجموعة بشرية»[1].

فالخاصية الأولى للفعل هي قدرته على فتح الذات إيتيقيًا على الآخر، لأن إيتيقية الفعل تتحلل من كل معقولية ومن كل وعي ببواعث الفعل و نتائجه. كما أن مبدأ الفعل هو القدرة على الفعل من حيث هي قدرة لسنا نعلم نحن ذواتنا ما تقدر عليه، ففي الإيتيقا لا يتمثل المبدأ، و الرهان في وجود الفعل وفق قانون أخلاقي كلي جل في استطاعته الفعل، و القدرة عليه بالممكنات الإنسانية[2]. حيث تتجسد من خلال هذه القدرة العلاقة بين الفاعل وبواعث الفعل الإنساني، و أسبابه و غاياته.

الفعل الباحث عن المعنى والذي تجذيره في الأخلاق هو الفعل الإنساني كما يتجلى الحضور الفعلي للفلسفة في الفكر البيوإيتيقي و دوره في تجديد المفاهيم الأخلاقية، كالحق، و الواجب و المسؤولية، و الحرية، التثبيت

[1]- فتحي الثريكي، **فلسفة الحياة اليومية**، دار المتوسطة للنشر، بيروت لبنان، ط1، 1430ه – 2009م، ص189.
[2]- عبد العزيز العيادي، **فلسفة الفعل**، مرجع سابق، ص32.

والاستقلالية، و الإرادة، فالفعل يحيل الفرد إلى القرار، أي الحرية "لأنه التعبير بالذات عن مركز الحرية التي تنزع الفرد من ثقل الحياة، بيد انه من الواجب أيضا النظر إلى الفعل باعتبار جذوره التاريخية و الوجودية"[1] فانطلاقا من هذا تعددت الإشكاليات أهمها:

❖ كيف يطبق الفعل أخلاقيا في الفلسفة؟

فيتضح هذا من خلال ممارسات الفرد و التوجيهات و التوصيات الناتجة عن قوانين مراتب أفعاله. فكثيرا ما تصادفنا مواقف أخلاقية، و أفعالنا قد تكون انبثاقات مفاجئة لصد هذه المواقف، و قد لا يكون الإنسان فيها أخلاقيا، إذ أن هذه المواقف ترتدي شكلا في أفعال الفرد المشخصة التي بدورها تأخذ أشكال عدة.يعود السبب للاختيار فقد يكون مطلقا أو مقيدا، إرادي أولا إرادي.

فقد أوضح بول **ريكور** وجود تبادل بين "الإرادي و غير الإرادي فقد أعيدت إلى موضعها في جدلية أكثر اشاعات حكمها أفكار اللاتناسب، و قطبية المتناهي و اللامتناهي و الوسيط أو التوسطية"[2] إذ تتجلى الحرية الشخصية في القبول أو الرفض مثال ذلك الطبع و السجية، فإرادته الفرد تدعوه لسلك طريق سجية و خلقه، فإن أرادها حسنة أو سيئة تكون كذلك، فالاختيار أساس لتكوين المواقف البشرية الأخلاقية.

كما يتيح لنا هذا إيضاح المواقف الذاتية في اختيار السلوك الصحيح مثال الاحترام، كأن يحترم الفرد غيره يجب أن يكون احترامه كافيًا لا يدفعه سلوك مشين كالكذب، فهذا الفعل يُؤَكّد وجدانية و حقيقة الذات يعني أنّه موجود و يطيعه على وجود خفي عن الآخر.

[1]- روجيه ميل، **المواقف الأخلاقية**، تر: د.عادل العوا، منشورات عويدان، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص7.
[2]- بول ريكور، **فلسفة الإرادة**، مصدر سابق، ص17.

كما يبدو أنّ الأسئلة التي شغلت **ريكور** كثيرًا في الماضي مدارها حول سؤال مركزي يمكن اختزاله في الفعل أستطيع "Je Peus"، و قد شكّل استعمال هذا الفعل في صورة الأربعة خيطًا ناظمًا لأهم أعماله[1]، إذا استعمل **ريكور** الفعل في صياغات حسب القدرة، أستطيع أن أتكلّم أستطيع أن آثر، و أن أحكي وأنّ اجعل نفسي مسؤول عن أفعالي كلّها تربط الفعل بفلسفة الأخلاق.

كما ينطلق **بول ريكور** من اعتبار الخطأ شيئًا غريبًا ألصق بالجوهر الإنساني، و بالتالي فهمه يحيلنا على لغة أكثر جوهرية يسميها لغة الاعتراف، و هي تلك اللغة التي تجعل الإنسان يتكلّم عن هذا الخطأ و الشر[2]. فالفكرة الأساسية للإرادة تتوسع كي تشمل أبعادًا رمزية بالشر، هذه الصفة المنغرسة في بنية الفرد الداخلية مرتبطة بضعفه، و عدم انسجامه مع ذاته، حيث يصبح فعل الشعر رمزية تفكيره، و هذا حسب رأيه يؤدّي إلى رؤية أخلاقية للعالم.

يسعى **بول ريكور** لفهم مشكلة الشر كجهد دائم للحرية، على اعتباره فعل سلطة تكشف عن الحرية، وهذه العلاقة المركبة بين الحرية و الشر تدعو إلى اكتشاف رابط الإرغام، فعلى حدّ تعبيره أنّ تأكيد الحرية يعني «أن يأخذ المرء على عاقه أصل الشر، و بهذه الجملة، فإنّي أثبت وجود علاقة وثيقة بين الشرّ والحرية، وأنّ هذين المصطلحين يستدعي أحدهما الآخر، فللشرّ معنى لأنّه من عمل الحرية»[3]، فالشرّ هو الفرصة الملائمة للتعبير عن الحرية، و هو الذي يجعل الوعي ممكنا بها، و أفعال الشرّ تستند إلى الذات المرتكبة له، أي تحمل العواقب ونتائج الاقتناع بالفعل، ذلك أنّ فهم الشرّ صادر عن الحرية، و القرار هذا نفسه هو حركة الحرية التي تأخذ الشرّ على عاتقها، و الحرية سواءً عملاً أو نظرًا، ففي كلّ شيء يهمّ الإنسان لا تصدّها إلاّ حرية التعبير. «فأساس الحقوق

[1]- مجوعة من الأكاديميين العرب، **الفلسفة الغربية المعاصرة**، ج2، مرجع سابق، ص 1287.
[2]- المرجع نفسه، ص 1268.
[3]- المرجع نفسه، ص 1270.

يكمن في الحرية و أساس الحرية هو احترام الذات، و احترام الآخر»[1]، و هذا النطاق الذي يبحث فيه **ريكور**، و أضحى يتمحور في العلاقات و السلوكات و ممارسات الإنسان المختلفة.

«فالقوانين المتعلّقة بالأخلاق تلك تأتي غالبًا في قوالب منتزعة عن الواقع، و الممارسات قد لا تفي بالحاجة الملحة حاليًا لتطوير علاقات العمل اليومي للبشر، يمكن في ضوئها تطوير أخلاقيات خصوصية حسب طبيعة هذه العلاقات و ميدانها»[2]، إذا ترتبط هذه الأخيرة بالعقل، و العمل و الممارسة، بمثابة آليات يستخدمها الفرد في طبعه و أفعاله.

كما أنّ إسناد الأفعال إلى الذات، و اقتناعها بالقيام بها على نحو الحرية إثبات الوقع، فافتراض بول **ريكور** أنّ الشرّ جهد إنساني يشكّل في عمقه قوة القرار، وينتج عن هذا إنسانية الإنسان في أفعاله. وعلى الرغم من علمه أنّ اختيار هذا المنظور يشكّل حكمًا مسبقًا، فإنّه يجادل بكونه يخصّ طبيعة المسألة ذاتها، وأنّ القرار بفهم الشرّ هو نفسه حركة الحرية التي تأخذ الشرّ على عاتقها[3]، ينتج عن هذا أنّ الحرية وحدها مسؤولة بإقرارها لطبيعة الفعل، و هذا الاعتراف يربط فعل الشرّ بالإنسان تفاعل له و مسؤول عنه.

يركز **ريكور** على ضرورة إقامة أنثربولوجيا فلسفية تسمح بتقديم رؤية جديدة للإنسان، تأخذ بعين الاعتبار جانبه الواعي، و اللاوعي، و جانبه الإرادي و اللاإرادي، أي التأسيس لتصور فلسفي يتجاوز تناقضات الوعي واللاوعي[4]، فهذه ملازمة لفعل القرار ذاته، مهمة يرسمها الوعي عبر القرار القصدي الذي يعكس الإرادة و التي بدورها تكتمل بالموافقة على الإنجاز ليصبح الفعل مدركًا، ممّا يجسد فهم ضرورة إمكانات الفعل الإنساني خاصةً والوجود الإنساني بصفة عامة.

---

[1]- فتحي التريكي، **فلسفة الحياة اليومية**، المرجع السابق، ص 26.
[2]- المرجع نفسه، ص 27.
[3]- مجوعة من الأكاديميين العرب، **الفلسفة الغربية المعاصرة**، ج2، المرجع السابق، ص 1271.
[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

كما ميّز **ريكور** بين أخلاق أرسطو الذي تتعلّق بالخير و الحسن و بالحياة الطبيعية على أنّها أخلاق غائية تنطلق من الرغبة و بين الخلاف الواجب التي قال بها **إيمانويل كانط** و التي تعتمد الإلزام و الإكراه، أي القواعد والقوانين الأخلاقية التي تلزم الفرد في القيام بأفعاله.

يبدو أنّ الانتقال من أخلاق غائية و أخلاق الواجب أمر تفرضه أوضاع الصراع، و العنف كما تمّ تشخيصها في نظرية الفعل التي يعبّر عنها الفعل أستطيع[1]، ففي نظر **ريكور** أنّ العدالة تقتضي الاهتمام بالفرد أولاً لحصوله على نصيبه من الخير العام، و ذلك نتيجة التصرّفات التي يحكمها **المبدأ الذاتي**، و أنّ إرادة العيش الحر والكريم هي متطلّبات تعني عدم الخضوع للقوانين القهرية، و الإكراه، يقول في هذا: «إنّ العيش لا يكون فقط مع الأقرباء، بل معهم و مع غيرهم الذين هم منضوون داخل مؤسسات اجتماعية عدة، و نظرتي ليست للشخص المرموز بوجهه، بل كلّ واحد معروف بدوره الاجتماعي»[2]، ينطلق هنا **ريكور** في مبدئه العملي أو تطبيق الأخلاق من نقطة الاعتراف، بالذات أو الأفعال، و استقلالية هذه الأفعال و تثبيتها.

كما يتجلّى الحضور الفعلي للفلسفة الأخلاقية في **الفكر البيوتيقي** الذي له دور في إثراء المفاهيم الأخلاقية، كالحق و الواجب و المسؤولية و الإحسان، و التسامح، و غيرها من القضايا الأخلاقية التي أفرزها التقدم في مجالات عديدة كالطبّ، و البيولوجيا و المسائل القانونية.

لذا «نشأت فكرة الأخلاقيات المطبقة، ففي كلّ ميدان يكون فيه الإنسان عرضة للاستغلال أو للمس من كرامته و عزّته، و حياته، و حقوقه، تتكون مجموعة من المبادئ الأخلاقية، و القواعد السلوكية قصد حمايته، والحفاظ على كرامته، و مكاسبه»[3]، لذلك تستوجب الأخلاقيات استحضار و مبادئ عامة من أجل الاحترام، والتسامح و العيش سويًا، هنا يؤكّد بول **ريكور** أنّ العدالة مطلب مهم و أساسي في الحياة الجيّدة، وأنّ كيفية

[1]- مجوعة من الأكاديميين العرب، **الفلسفة الغربية المعاصرة**، ج2، مرجع سابق، ص 1278.
[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[3]- فتحي التريكي، **فلسفة الحياة اليومية**، مرجع سابق، ص 191.

تطبيقها معيار أخلاقي و واجب إلزامي، لأنّ العدل قيمة أخلاقية، و المساواة صفة خلقية تحيلنا إلى مبدأ السعادة، وانطلاقًا من هذه المبادئ يقدّم لنا فلسفة متنوعة حول الأخلاق في بعدها التطبيقي، كما يستنبط فكرة الاستقلال الذاتي لدى **كانط**، و وعي الذات أسلوب جوهري كاف لتطبيق الفعل الأخلاقي الذي منبعه تكون ذات موحدة في أفعالها و قراراتها و مسؤولياتها.

**المبحث الرابع: ما بعد بول ريكور تجلّيات نظريات الفعل**

كانت منطلقات **ريكور** المرجعية، و النظرية قائمة على التأمّل الذاتي و هذه الفلسفة مع تأثيرها قادته نحو **كارل ياسيرز*** فلسفة الوجود، فكلفة الاشتغال على قضية الوعي و اللاوعي، و مسألة الشر، و الحرية خاصة السلوكات الفعلية، و موضوع الفعل الذي ترك أثرًا كبيرًا و تداولاً حتّى بعد بول **ريكور**، كذلك الفهم الإنساني الذاتي، و الذي شغل فكر **غادمير**** هو الآخر، و الذي سار على نهج **هيدغر**.

فحسب **غادمير** «لا يمكن استنطاق الأشياء و إدراكها إلاّ بأنماط المعقولية و مشاريع الفهم، و انتظار المعنى التي نشكّها حول جوهر هذه الأشياء، لا إقصاء الذات و التصورات المسبقة، و لا إعطائها الهيمنة المطلقة في تقويم الأشياء»[1]، حيث يتمركز مفهومه هذا في موضع مفاده أنّ الفهم، و التصوّرات المسبقة ينبغي تمحيصها ونقدها، حيث تتلائم مع الشيء المدرك، كما أكّد أنّ إمكانيات الفهم ذات ارتباط بالعوائق النفسية و التاريخية، و الممارسات القائمة دون انسجام النظري و الذاتي مع جوهر الأشياء.

تعدّ الوظيفة الفعلية **لغادامير** تعبيرًا عن عمل و لفهم الذات و ذاتية الفهم، و مسار الوعي و الوجود، إذ لم يختلف مسار الدراسة عنده عن بول **ريكور**.

كما اعتمد في فهم الذات عبر التراث تطبيق الحقيقة المكتشفة في النص و التراث، و الحقيقة المنتجة على الذات حاليًا، و يتخذ الفهم عند **غادامير** مفهوم التوصل إلى تطبيق و استعمال المعنى أي التأويل المرتبط

* كارل ياسبرز "Karliya Spers": فيلسوف ألماني ولد في أومندنبورغ، سنة 1883، يرتبط اسمه بفلسفة الوجود من أهمّ مؤلفاته: علم نفس تصورات العام 1913 الأول، و علم نفس تصورات العالم سنة 1919ن توفي سنة 1969 [أنظر: جورج طرابشي، **المعجم الفلسفي**، ص 738].

** غادامير هانزجورج "Gadamer, Hans Georey": (1900-2002م) فيلسوف ألماني معاصر، تأثّر بأزمة الكانطية المحدثة، و بيدايا الفينومولوجية، و باكتشافه لأهمية الفكر اليوناني،/ مؤلفة الرئيسي، الحقيقة و المنهج سنة 1960، [أنظر: جورج طرابشي، **المعجم الفلسفي**، ص 423].

[1]- هانس غيورغ غاداميير، **فلسفة التأويل**، تر: محمد شوقي الزين، الدار العربية للعلوم، بيروت – لبنان، ط2، 1427هـ-2006م، ص 20.

بالتساؤل حول إمكانية النص المقروء، و التطبيق كفاعلية منتجة للفهم و الوعي لا كممارسة، لانّ الفهم ترجمة للحقائق، وكشف عن التجربة التأويلية، و التي هي مجال تطبيقها عند بول على النصوص و الأفعال، أمّا عند **غادامير** «يتخذ **التأويل** أو الفهم علاقة ذات أصول بأصولها و جذورها، و وعي بماضيه و تاريخه، العلاقة مع الآخر الذي تدفعنا إلى مساءلة حاضرنا و حضورنا، و صياغة أسئلتنا و مشكلاتنا و التنقيب عن أجوبة مناسبة، و انتظارات دلالية ملائمة»[1]. إذ تتجلّى هذه التجربة عنده في التفاهم و الحوار كعلاقة جدلية بين الأنا والآخر، فبلاغة الحوار و التواصل هو ما يسميه غادامير اللغة، و يعتبر الوجود الجدير بالفهم هو اللغة.

ظلّت فلسفة **غاداميرا** التأويلية، و لعقود زمنية طويلة محلّ قراءات متباينة و تأويلات متضاربة بشأن «تصور اللغة لأنّه غالبًا ما نعت تأويليه على أنّها **هيرومونيطيقا** لغوية تعطي الأولوية و الصدارة لعامل اللغة كبعد كوني وشامل»[2]، ممّا يتضح أنّ الوجود لا يمكن فهم صورته الشاملة، إلاّ بلغة و الانسجام مع الشيء يدعونا للتواصل والحوار.

تميزت علاقة **غاداميرا** بمحيطها المعرفي حول طبيعة الموضوع التأويلي، و مناهج الفهم، فدارت نقاشات هذه الإشكالية بينه و بين **هايرماس*** الذي «يعتقد أنّ التأويلية **غادامير** تجعل التراث فوق العقل النقدي»[3]، ففي رأيه أنّ القيم ذات دلالة و قيمة أخلاقية و كلّ فعل أو ممارسة مشترطة بتاريخ وجودنا، و ما يتّفق حول **غاداميرا** و **هابرماس** هو الحوار أو التواصل الذي هو يوثقه تصبّ فيه كلّ الأفعال.

---

[1]- هانس غيورغ غادامير، **فلسفة التأويل**، مرجع سابق، ص 25.
[2]- المرجع نفسه، ص 27.
* **هابرماس يورغن "Habemas Jurger":** فيلسوف و عالم اجتماعي ألماني، ولد سنة 1929، يعدّ من أبرز ممثلي مدرسة فرانكوفورت، درّس الفلسفة و علم الاجتماع، و من أهمّ مؤلفاته: البنية السلوكية للحياة العامة سنة 1962، النظرية و الممارسة 1963. [أنظر: جورج طرابشي، **المعجم الفلسفي**، ص 687].
[3]- هانس غيورغ غادامير، **فلسفة التأويل**، نفس مصدر سابق، ص 28.

«العقل عند **هايرماس** تحقيق لمشروع عملي مؤسس على تأويل معيّن للوضعية، إذ يتحقق مشروع عملي ما يتحكم الفاعل في وضعية معينة، و وضعية الفعل تشكّل جزء من محيط الفاعل»[1].

كما يوضح **هابرمارس** العقلانية التي تتبلور حولها ما يسمى **بالبراكسيس**، إذا أراد بناء مشروعه بعقلانية، كما ركّز اهتمامه على التواصل، و الأخلاق التواصلية «فالأخلاق التواصلية رغم كونها جملة من المحاور الأساسية في فلسفة **هابرمارس** من إعادة بناء نظرية أخلاقية قائمة على أساس **أنثربولوجي** التواصل عبر اللّغة»[2]، يوضح هنا أنّ المعنى اللغوي آلية لتنسيق الأفعال، التي صنّفها حسب وظائفها و أهدافها إلى إستراتيجية، و منظمة و تواصلية و كلامية.

إنّ فلسفة كلّ من **غادامير** و **هابرمارس** تعد تأثير ناتج عن البحث و التقصي الذي أثراه بول **ريكور** الذي ظهر به أن يضع عنوانًا ليختزل فشل فلسفات الوعي الناتجة عن الظاهرية الهوسرلية، و عن ديكارت، فمارس **ريكور** أعماله الأولى هنا كما بحث لنفسه عن مخرج يرشده داخل الوظيفة المركبة للغة فانزاح من فلسفة الفعل للإشارة إلى فلسفة اللغة و التي تداولها بشكل كبير **هابرمارس** أساسها التواصل، فكان حضور الفعل التواصلي عنده أثر بالغ في فلسفته.

و من هذا المنطلق فإنّ نظرية الفعل التواصلي تصبو إلى مواصلة تهيئة أربعة مواضيع للفكر ما بعد الميتافيزيقي و ذلك بتجذير المنعطف اللساني، بتحليل صلاحية الخطابات، و بواسطة إدخال المبادئ التكميلية للعالم المعيش بإعطاء الفعل التواصلي كلّ الاهتمام لوضع العقل في مكانته[3]. في حين ركّز **ريكور** على المظهر الإبداعي للغة على وحدات ثلاث، الكلمة و النص و الجملة، إلى مفهوم أشمل و هو الخطاب فالجملة هي

[1]- عبد العزيز العيادي، **فلسفة الفعل من محاولات التأسيس إلى آفاق النقد**، مرجع سابق، ص 33 ً
[2]- أبو النور حمدي، أبو النور حسن، **يورجن هابرماس: الأخلاق و التواصل**، دار التنوير، بيروت- لبنان، (د.ط)، 2012، ص 11.
[3]- عبد العزيز العيادي، **فلسفة الفعل من محاولات التأسيس إلى آفاق النقد**، مرجع سابق، ص 340.

الوحدة الحقيقية للخطاب، و تتجلّى أهميتها فيما يلي: «إنّ لسانيات الجملة هي التي تدعم جدل الحدث والمعنى الذي تنطلق منه نظريتنا أي نظرية النص»[1].

كما يرى **ريكور** أنّ قوة الأخلاق متأتّية من الأمر المطلق، المؤسس على مبدأ الاحترام و البعد الآخر، الذي أساسه الحوار، و التواصل فاللغة وسيط تواصل، و الفعل التواصلي يحدّد نوعا من التفاعلات المنسقة لغويًا. يؤكد **هابرمارس** في فلسفة الأخلاق التواصلية أنّ الخطاب اللغوي مبدأ صوري للأخلاق، فممارسة العنف فيه تفقده القدرة على التواصل، و اللغة خطاب تمارسه السلطة.

كما يرى **ريكور** أنّ قوة الأخلاق تتأتى من الأمر المطلق بمبدأ الاحترام و الحوار «فقد أصبح التواصل الصوت الوحيد القادر على توحيد العالم، فقط كلّ مرجعيته للتواصل، و التواصل بالأدوات والتقنيات التي تضعف التواصلّ، نفسه هذا هو حب التناقض الذي وضعنا فيه»[2]، يقصد هابرمارس أنّ قدرة الفرد في المشاركة و المناقشة تنبني على معايير أخلاقية فاللغة وسيط تواصل يصلح للتفاهم و تحديد التفاعلات و هنا يتساءل **ريكور** عن أخلاق التحاور، و مدى معرفتنا بالقواعد الكلّية للاشتراك في الأخلاقيات النقاش.

فصورية الأخلاق التي قدّمها **هابرمارس** تفقد النظرة الواقعية للفعل في نظر **ريكور**، و جعل من الفلسفة آلية للحوار لقدرتها على فهم البنى الفكرية التي تركها لاستيعاب المبادئ الأخلاقية، و قد كان لحضوره في الفكر العربي أثر بالغ، تجسد في التقارب في الفهم حيث تأثر الفكر العربي بفلسفته الكونية.

أصبحت **الهيرمونيطيقا** تشقّ طريقها لتشكّل نظرية فلسفية، توجهت أفكار العديد إلى البحث في منعرجاتها مع **غادامير**، و **ريكور**، انتقالاً من مبحث تفسير للنصوص إلى تأويل فلسفي يتخلّله الفهم، والممارسة، فالتأويل كما يرى لم يولد إلاّ من خلال الجهد المبذول لرفع تفسير النصوص، لأنّ «**الهيرمونيطيقا** هي نظرية

[1]- مجموعة من الأكاديميين العرب، مرجع سابق، ص 1278.
[2]- أبو النور حمدي، أبو النور حسن، **يورجين هايرماس: الأخلاق و التواصل**، مرجع سابق، ص 246.

عمليات في الفهم في علاقتها مع تفسير النصوص»[1]، ذلك يعني اعتبار التأويل و الفهم جهدًا أو أسلوبًا لفهم و كشف الوجود الإنساني، حيث جعل **غادامير** من الفهم تقنية و موضوعًا للتفكير.

و لعلّ أهمّ إشكالية تأسّست في نظريات الفعل تتعلّق بالتفكير و التأمّل إذ ينبغي التفكير في كلّ شيء ممّا يتطلّب معرفة الأشياء، و المعرفة مرتبطة بالممارسات، حيث أصبحت دائرة إجرائية تقنية، كالفنون مثلاً، فالفن فعل تأملي يحتاج إلى ممارسة كما نؤسس الفنون ذاتها على إطلاقية الفعل أو الأداء، المجال الذي تجلّت فيه دراسات بول **ريكور** من أزمة الفعل، و مقولات الاسم «فارتباطهما وحده هو الذي يحقق الرابطة الإسنادية التي يمكن أن تسمى **لوغوس** أو خطايا، و هذه الوحدة التركيبية تقييد معنى الفعل المزدوج في الإثبات والنفي»[2]، تستعمل أشكال الخطاب في اللغة من أجل فهم الواقع، و ما يصف دلاليات الأفعال، ففي رأيه بأنّ الإسم معنى، وللفعل فضلاً عن انطوائه على معنى إشارة الزمن.

يكشف هنا **ريكور** عن التعقيد الناتج عن ضمّ النظرية الفعل إلى فلسفة اللغة كمما يحلّل المواقف المعبر عن تداولية الفعل بالمعنى الأخلاقي من ناحية الممارسة الإنسانية. بعد ذلك يحاول إظهار التعارض بين الفعل والحدث بالقياس إلى الإختلافات بين الحافز و السبب، و ذلك يجعل الفعل القصدي موضوع الوصف[3]، فما يميز الفعل عن الحدث هو الغاية، إذ يستعيد ريكور التأويل السببي لتفسير الفعل، كما يضيف مكتسبات الخطاب العادي، و لغة الحياة متفطنًا بذلك إلى أهمية القصد، فحديث **ريكور** المتواصل عن اللغة، و الحوار كان بمثابة مفاهيم مفتاحية للتطبيقات الواقعية بعده كما تغيّر البحث التأصيلي الفلسفي في موضوع **الإيتيقا** و القيم السلوكية قديم الجذور الممتد إلى **أفلاطون**، و **أرسطو** و **كانط**، **سبينورا**، **ونتشه**، و الذي أبدى اهتمامًا بالأتيقا كجهاز نظري وضعت مبادئه صلب الممارسة و التطبيق.

---

[1]- بول ريكور، **من النص إلى الفعل**، مصدر سابق، ص 58.
[2]- بول ريكور، **نظرية التأويل**، مصدر سابق، ص 24.
[3]- عبد العزيز العيادي، **فلسفة الفعل (من محاولات التأسيس إلى آفاق النقد)**، مرجع سابق، ص 237.

ذلك أنّ بلوغ المعنى الحقيقي لمفهوم الإيتيقا كما بلوره **هابرمارس** في حوارية مع بعض الباحثين، والفلاسفة الفرنسيين و الذي تختلط فيه الفلسفة بعلم الاجتماع، و الأخلاق و السياسة، و الإيتيقا لمبحث تواصل بما هو ركيزة من أهمّ الركائز المحورية في مشروعه، خاصة عبر كتابه الضخم نظرية الفعل التواصلي[1]، وذلك لمحاولة في مشروعه، و المعايير التي تحكم السلوك الأخلاقية، هذا النطاق الذي توسع البحث فيه، بعد بول **ريكور** و الذي ترك أثرًا في فلاسفة و مفكري العرب، و ارتكز النقاش حول تداولية الأفعال، انطلاقًا من البحث في السلوك الإنساني و الذوات.

[1]- يورغن هابرماز، **إيتيقا المناقشة و مسالة الحقيقة**، تر: عمر مهيبيل، الدار العربية للعلوم، بيروت – لبنان، ط1، 1431هـ - 2010م، ص 10.

# خاتمة

نستنتج من دراستنا التحليلية السابقة عن مشروع **بول ريكور** الطموح، و محاورته للمناهج الفكرية الحديثة، أنّه لاحظ تفكّك و تعقيد و تشابك المجتمعات الإنسانية، فحاول البحث في البدائل الأخلاقية، و ذلك بالحثّ على الالتزام بمبادئ الأخلاق، والتمسك بالحوار والانفتاح على الغير، إذ انطلق من مبدأ احترام الذات كونها عنصر فاعل في الوجود.

فمهمة الأخلاق في توجيه السلوك نحو الوجود الذي يصاحب الذات في إنقذافها خارج الأفعال والممارسات، لذا حاول **ريكور** بناء نسقه الفكري الذي سار في اتجاه تشييد فلسفة تعطي للذاكرة بُعدها العملي، إذ عرفت فلسفته بالانفتاح على الحقول المعرفية، و هذا يتجلّى من خلال تعرضه لمبدأ الظاهرتية، والهيرمونيطيقا، فكانت أفكاره حافظة لما سبقه من فكر فلسفي **كأفلاطون**، و**أرسطو**، و**دلتاي** و**شليمخر**.

كما يعتبر **ريكور** فيلسوف تأصلي ظاهراني هيرمونوسي، حيث تركّزت تأمليته على دراسة الفعل الإنساني، والذي حاول الفكر البشري من خلاله استعادة التفكير، أمّا ظاهريته فتحدث في طموحه و توجهاته المحدّدة للوعي، و أخيرًا ورث الهيرمونيطيقا على المنهج التأويلي و تفسيره من خلال التجارب الإنسانية، وكان معظم تركيزه أيضًا على مسألة الإرادة، و التساؤل عن الحرية، كونها أساسية في تطوير الذات من إنسانية إلى أخلاقية، أو من ذات تتفق مع ذاتها إلى ذات تتفق مع الغير أو الآخر.

أمّا نشاط **بول ريكور** المحوري فتمركز حول الفهم و التفسير و النقد، فلحظة الفهم حملت إرثًا حضاريًا عريقًا من حيث اهتمام العرب بها، للتفتح إلى اجتهادات الفكر و إبستمولوجيا التفاعل بين الواقع المعيش مثلما تحقق النقد في إطار الدائرة التأويلية والتي شقت طريق **ريكور** بخصوصية البناء الرمزي للنصوص والخواص اللغوية وأسلوب الحوار.

و استجابة لهذه المعايير الرمزية تشكّل مفهوم الفعل نحو شبكية تستند إلى إطار ثقافي واسع، تحكمه معايير أخلاقية، ينطلق من أولوية الذات، حيث يتطلّب الفعل في أصله فكرة واضحة عن الذات، فهي في نظر **ريكور** موضوعا جديرا بالاهتمام، لا بمجرد سياق التأسيسات الأصولية للحرية و الفعل، و الأخلاق إنّما لذاته، كونها مصطلح يستخدم لإقامة الأصولية الإنسانية العامة.

و كما سبق القول أنّ الفعل يقوم في إطار شبكة من العلاقات، فيؤدّي بالضرورة إلى التفاعل الذي يشكّل التواصل لفتح باب المقدرة أمام ذات متجذرة في الحياة، ممارسة لأفعال منطلقة منها قائمة على مبدأ احترام الذات، و احترام الآخر، هذا العنصر الفاعل في الوجود جعل **ريكور** يتجاوز البعد النظري للأخلاق رغم تعرضه لموقف **إيمانويل كانط** و أخلاقيته من خلال مبدأ الإرادة، الأمر الذي أدّى به إلى تطبيق بسيط وهو تحليل أزمة الشر، أو معرفة أصل الشر، و منبع الأخطاء، و مدى ارتباطها بإرادة الإنسان، ليطرح بعدها مشكلة الحياة طرحًا فلسفيًا أخلاقيًا قانونيًا، اتفاقًا مع **إيمانويل** و **كانط**، و فريدريك نتشه في المسائل القانونية، و أنّ الحرية والإرادة الفردية جانب في تحديد سلوكات الفرد، و لابدّ من تحمل المسؤولية، لأنّ الفعل الإنساني رغم تنوع مقاصده فهو مرتبط بالوضع البشري.

كما تزعمت أخلاق ريكور **الواجبية** لواء **إيمانويل كانط** البحث في موضوع الأمر المطلق، وما تستوجب الأخلاقيات من استحضار للمبادئ العامة، تأكيدًا على مطالب العدالة كونها معيار أخلاقي قد توحد الأفعال في قراراتها.

كما ساد مشروع **ريكور** أيضًا مفهوم التواصل، فالتواصل والحوار مبدأين لاستمرار الحياة الجيدة، واستمد في ذلك فلاسفة معاصرين أمثال: **يورغن هابرمارس** و**هانز جورج غادامير**.

فرغم توسع نطاق بحث **بول ريكور** في المجال الأخلاقي (امتازت دراسته بالتوسطية في الحكم الأخلاقي، حيث رأى أنّ الفهم الجيد يمكن الفرد من تجاوز عتبة الضعف.

كما يمكننا تلخيص نتائج البحث هذه في أنّ إدراك الأشياء خاصة في بعدها الأنطولوجي معيار لتمييز الأفعال، و طبيعتها، وكيف تتحقق بالوعي و أنّ الفعل الذي لا يصدر عن وعي هو فعل تاريخي، أمّا الفعل المحرك للتاريخ هو ذلك الذي يؤسس الأخلاق.

وخلاصة القول أنّ الفعل ضرورة إنسانية واجتماعية، تاريخية وأخلاقية، يتطلّب من الإنسان القوة والاستجابة للإرادة والحكمة الأخلاقية، فمهمة الأخلاق أوليًا توجيه السلوك نحو فهم الذات، وفهم الآخر، وحفظ قيم التعالي الإنسانية.

# قائمة

# المصادر

# و المراجع

**قائمة المصادر:**

**1/- المصادر باللغة العربية:**

1/- بول ريكور، **الذات عينها كآخر**، تر: جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، نوفمبر 2005.

2/- بول ريكور، **الذاكرة، التاريخ، النسيان**، تر: جورج زياتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

3/- بول ريكور، **صراع التأويلات**، تر: منذر عياشى، مر: جورج زيتاني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

4/- بول ريكور، **عن الترجمة**، تر: حسين خمري، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ-2008م.

5/- بول ريكور، **فلسفة الإرادية الإنسان الخطاء**، تر: عدنان نجيب الدين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2008.

6/- بول ريكور، **من النص إلى الفعل**، تر: محمد برادته، حسان بورقية، عين الدراسات و البحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، ط1، 2001.

7/- بول ريكور، **نظرية التأويل: الخطاب و فائض المعنى**، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدارالبيضاء، المغرب، ط2، 2006.

**2/- المصادر باللغة الأجنبية:**

Paul Ricoueur, soi même cime un autre, 1982, Paris.

**قائمة المراجع:**

**1/- باللغة العربية:**

**أولا- الكتب:**

8/- إبراهيم فريد الدر، **الأسس البيولوجية للسلوك الإنسانية**، دار الآفاق الجديدة، بيروت –لبنان، ط1، 1403هـ-1983م.

9/- إبراهيم مشروح، **طه عبد الرحمان: قراءة في مشروعه الفكري**، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

10/- أبو النور حمدي، أبو النور حسن، **يورجين هايرماس: الأخلاق و التواصل**، دار التنوير، بيروت- لبنان، (د.ط)، 2012.

11/- إميل بوترو، **العلم الدين في الفلسفة المعاصرة**، تر: احمد فؤاد الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1973.

12/- أندريه كريسون، **المشكلة الأخلاقية و الفلاسفة**، تر: الإمام عبد الحليم محمود، دار الشعب، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1399هـ-1979م.

13/- إيمانويل كانط، **أنطولوجيا الوجود**، تر: جمال محمد احمد سليمان، دار التنوير للطباعة و النشر والتوزيع، (د.ط)، 2009.

14/- إيمانويل كانط، **تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق**، تر: عبد الغفار مكاوي، مر: عبد الرحمان بدوي، الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة –مصر، (د.ط)، 1385هـ/1965م.

15/- إيمانويل كانط، **تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق**، تر: عبد الغفار مكاوي، منشورات الجمل، كولونيا – ألمانيا، ط1، 2002.

16/- إيمانويل كانط، **نقد العقل العملي**، تر: غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت –لبنان، ط1، أكتوبر 2008.

17/- جاكلين روس، **الفكر الأخلاقي المعاصر**، تر: عادل العوا، عويدات للنشر و الطباعة، بيروت – لبنان، ط1، 2001.

18/- جان فرنسو دورتي، **فلسفات عصرنا: تياراتها، مذاهبها، أعلامها و قضاياها**، تر: إبراهيم صحراوي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ-2009م.

19/- جمال مفرج، **الإرادة و التأويل: تغلغل النيتشوية في الفكر العربي**، الدار العربية للعلوم، بيروت – لبنان، ط1، 1430هـ-2009م.

20/- جون هوميروس، **مقدمة في مشكلات علم الأخلاق**، تر: عبد العلي عبد المعطي محمد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990.

21/- جيل دولوز، **التجريبية و الذاتية**، تح: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ-1999م.

22/- جيل دولوز، **فلسفة كانط النقدية**، تعريب: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط1، 1417هـ-1997م.

23/- حسن بن حسن، **النظرية التأويلية عند ريكور**، دار تيمنل للطباعة و النشر، مراكش، المغرب، ط1، 1992.

24/- روجيه ميل، **المواقف الأخلاقية**، تر: د.عادل العوا، منشورات عويدان، بيروت، لبنان، ط1، 1987.

25/- صفاء عبد السلام علي جعفر، **هيرمونيطيقا الأصل في العمل الفني**، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، (دط)، 2003.

26/- طه عبد الرحمان، **الحق العربي في الاختلاق الفلسفي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2008.

27/- طه عبد الرحمان، **الحوار أفقًا للفكر**، الشبكة العربية للإعداد والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2013.

28/- طه عبد الرحمان، **بؤس الدهرانية**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 2014.

29/- طه عبد الرحمان، **روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الإنتمائية**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط2، 2012.

30/- طه عبد الرحمان، **سؤال الأخلاق**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2000.

31/- طه عبد الرحمان، **سؤال العمل بحث عن الأصول العملية في الفكر و العلم**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2012.

32/- عبد العزيز العيادي، **إتيقا الموت والسعادة**، دار صامد للنشر، صفاقس-تونس، ط1، أفريل 2005.

33/- عبد العزيز العيادي، البشير ربوح، **فلسفة الفعل: من محاولات التأسيس إلى أفاق النقد**، دار الأمان، الرباط، (د ت).

34/- عبد العزيز العيادي، **فلسفة الفعل**، دار نهى، سفاقص – تونس، ط1، ماي 2007.

35/- عزت فرني، **الذات ونظرية الفعل**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، (د.ط)، 2002.

36/- فتحي الثريكي، **فلسفة الحياة اليومية**، دار المتوسطة للنشر، بيروت لبنان، ط1، 1430هـ – 2009م.

37/- فريدريك نتشه، **الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي**، تر: سهيل القش، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1403هـ/ 1983م.

38/- فريدريك نتشه، **إنسان مفرط في إنسانيته**، محمد الناجي، إفريقيا الشرق، (د.ط)، 2002.

39/- فريدريك نتشه، في **جينالوجيا الأخلاق**، تر: فتحي المسكيني، مر: محمد محجوب، دار سيناترا، تونس، (د ط)، 2010.

40/- فريديريك نتشه، **إرادة القوة**، تر: محمد الناجي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (د.ط)، 2011.

41/- فريديريك نتشه، **أفول الأصنام**، تر: حسان برقية، محمد الناجي، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 1996.

42/- فولفغانغ إيزر، **فعل القراءة**، تر: د. حميد لحمداني، جيلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، (د.ط.ت).

43/- كرستوفر وانت، أندرجي كليمو فسكي، **أقدّم لك كانط**، تر: عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2002.

44/- كرودبيجر بونر، **الفلسفة الألمانية الحديثة**، تر: فؤاد كامل، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، (د.ط.ت).

45/- لورانس جين كيتي تشين، **أقدم لك نيتشه**، ترجمة إمام عبد الفتاح، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2004.

46/- مجاهد عبد المنعم مجاهد، **مدخل إلى الفلسفة**، دار الثقافة للنشر و التوزيع، مصر، القاهرة، (د.ت).

47/- مجموعة من الأكاديميين العرب، **الفلسفة الغربية المعاصرة** ج2، تقديم: علي حر، دار الأمان، الرباط، ط1، 1434هـ/ 2013م.

48/- محمد الجير، **الفكر الفلسفي و الأخلاقي عند اليونان**، دار دمشق، دمشق، ط1، 1994.

49/- محمد زيدان، **كانط و فلسفته النظرية**، دار المعارف، ط3، 1979.

50/- محمد مهران رشوان، **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية**، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، مصر، القاهرة، (د.ط)، 1998.

51/- محمود حمدي زقزرق، **مقدمة في علم الأخلاق**، دار القلم، الكويت، ط3، 1403هـ/1983م.

52/- مصطفى النشار، **العلاج بالفلسفة**، بحوث و مقالات في الفلسفة التطبيقية و فلسفة الفعل، الدار المصرية، السعودية، القاهرة، مصر، ط1، 2010.

53/- مصطفى النشار، **مدخل جديد إلى الفلسفة**، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1998.

54/- مصطفى عبده، **فلسفة الأخلاق**، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط2، 1995.

55/- موزه أحمد راشد العبار، **البعد الأخلاقي في الفكر السياسي عند الفارابي و الماوردي و ابن تيمية**، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، قسم الفلسفة، (د.ط)، 1421هـ، 2000م.

56/- هانس غيورغ غادامير، **فلسفة التأويل**، تر: محمد شوقي الزين، الدار العربية للعلوم، بيروت – لبنان، ط2، 1427هـ-2006م.

57/- هنري برغسون، **بحث في المعطيات المباشرة للوعي**، تر: الحسين الزاوي، مر: جورج كاتورا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت – لبنان، ط1، أكتوبر 2009.

58/- يورغن هابرماز، **إيتيقا المناقشة و مسالة الحقيقة**، تر: عمر مهيبيل، الدار العربية للعلوم، بيروت – لبنان، ط1، 1431هـ - 2010م.

**ثانيًا– المعاجم و القواميس:**

59/- ابن منظور الإفريقي، **لسان العرب**، مج4، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2008.

60/- أندريه لالاند، **موسوعة لالاند الفلسفية**، المجلد الأول (A-G)، منشورات احمد عويدات، ط2، 2001.

61/- تد هوندرش، **دليل إكسفورد للفلسفة**، ج1، (من أ إلى ط)، تر: نجيب العصادي، تح: منصور محمد البابور، محمد حسن أبو بكر، (د.ط.ت).

62/- تد هوندرش، **دليل إكسفورد للفلسفة**، ج2، (من ط إلى ي)، تر: نجيب العصادي، تح: منصور محمد البابور، محمد حسن أبو بكر، (د.ط.ت).

63/- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية، الفرنسية، الإنجليزية و اللاتينية**، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ط)، 1982.

64/- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية، الفرنسية، الإنجليزية و اللاتينية**، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ط)، 1982.

65/- جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة**، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 1987.

66/- محمد يعقوبي، **المعجم الفلسفي**، دار الميزان، الجزائر، ط2، 1998.

67/- مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، دار قباء الحديثة للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط5، 2007.

68/- مصطفى حسيبة، **المعجم الفلسفي**، دار أسامة للنشر و التوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2009.

**2/– المراجع باللغة اللأجنبية:**

Georges Balandier, introduction, la demande d’éthique, 1990.

**إهداء**

**كلمة شكر**

**مقدمة**..... أ

## الفصل الأول: مدخل تمهيدي

**المبحث الأول: ماهية الفعل (التأسيس و التأصيل)**..... 06

1/- الفعل لغةً..... 06

2/- في الاصطلاح الفلسفي..... 08

3/- أقسام فعل..... 10

4/- نظرية الفعل..... 12

**المبحث الثاني: مفهوم الأخلاق (المناهج والنظريات)**..... 14

1/- تعريف الأخلاق لغويًا و اصطلاحيًا..... 14

2/- تعريف الأخلاق فلسفيًا..... 15

**المبحث الثالث: المنعطف الأخلاقي من الأخلاق إلى الأخلاقيات**..... 19

**المبحث الرابع: فلسفة البراكسيين (تجربة الإنسان و الوعي بالحياة)**..... 22

## الفصل الثاني: فلسفة الفعل (المسارات و الإشكالات

**المبحث الأول: نظريات الفعل في الفلسفة الغربية (إمانويل كانط و فريدريك نيتشه)**..... 26

1/- إيمانويل كانط..... 26

2/- فريدريك نيتشه..... 35

**المبحث الثاني: سؤالات الفعل في الفكر العربي (طه عبد الرحمان، عبد العزيز العيادي)**..... 43

1/- سؤالات الفعل في الفكر العربي طه عبد الرحمان..... 43

2/- سؤالات العقل في الفكر العربي عند عبد العزيز العيادي..... 48

**المبحث الثالث: فلسفة الفعل من الذات إلى التغيير**..... 52

**المبحث الرابع: أخلاق الفعل بين الإرادة و الاغتراب و المقاومة**..... 57

## الفصل الثالث: بول ريكور و إيتيقا الفعل

**المبحث الأول: بول ريكور (السيرة الذاتية و الإسهامات الفلسفية)..... 62**

1/- حياة بول ريكور و مؤلفاته 1913-2005..... **62**

2/- موقع بول ريكور الفلسفي..... **64**

**المبحث الثاني: بول ريكور بين تأويلية النص و هيرمونيطيقا الفعل..... 65**

**المبحث الثالث: قراءته في أخلاق الفعل التطبيقية عند بول ريكور..... 73**

**المبحث الرابع: ما بعد بول ريكور تجلّيات نظريات الفعل..... 79**

**الخاتمة..... 86**

**قائمة المصادر و المراجع..... 90**

**فهرس المحتويات**

.